أَمِنَ الإيمانِ حُبُّ الأوطانِ؟!

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٥٢ السنة الخامسة والخمسون - ربيع آخر ١٤٤٧ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

مكانة المسجد

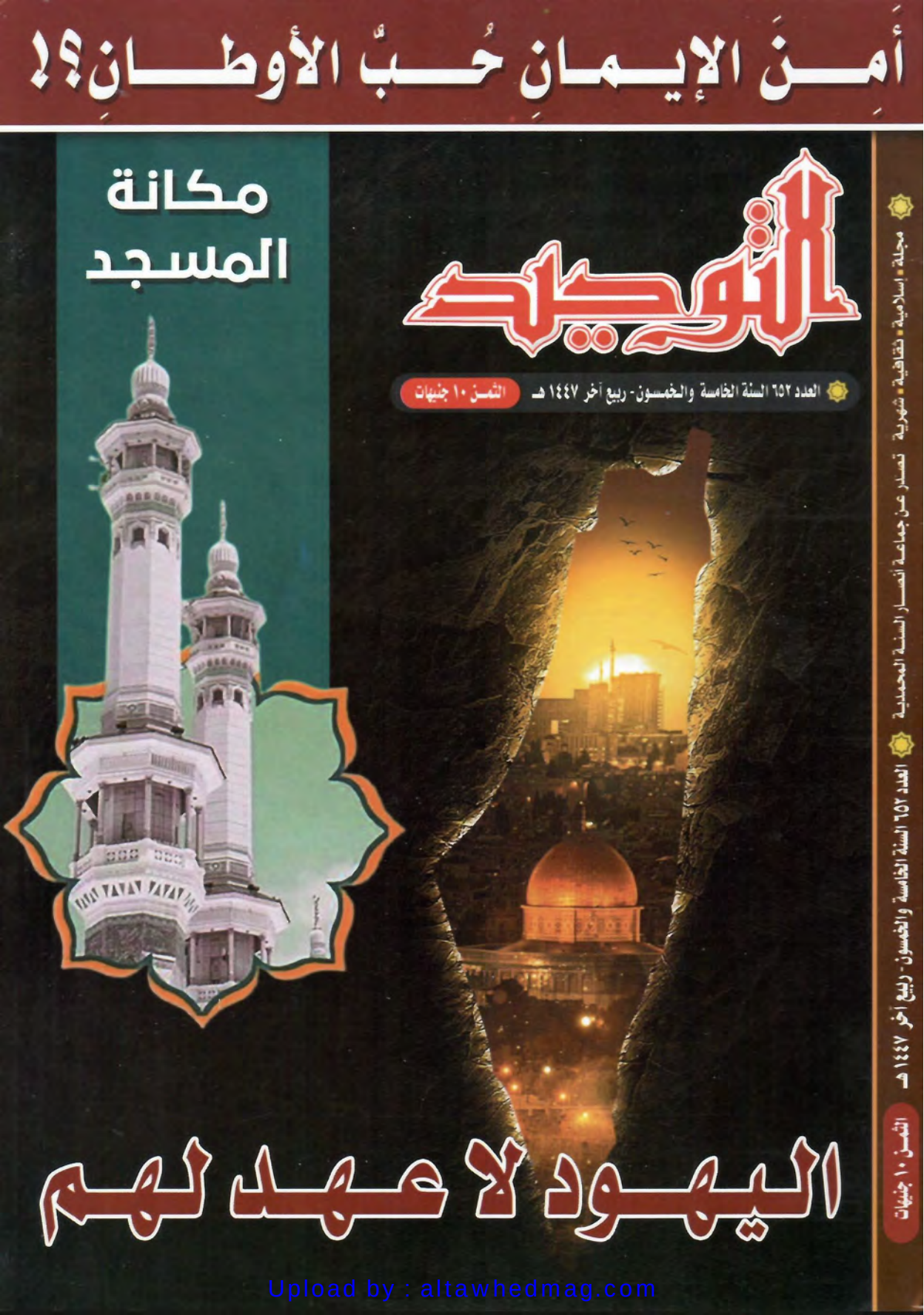

اليهود لا عهد لهم

Upload by : altawhedmag.com

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودي بالجنيه المصري.

السلام عليكم

مناشدة

السادة الأفاضل كتاب مجلة التوحيد الغراء.

حياكم الله وبياكم.

نناشد فيكم مزيداً من الاهتمام والغيرة على مجلة التوحيد ودعوتها ، وذلك من خلال نقاط دقيقة نرجو أن توضع في الاعتبار لمزيد من التقدم والرقي بمجلتنا الغراء:

أولا: سرعة إنجاز كتابة المقالات في أول أيام الشهر الهجري حتى يتسنى لإدارة المجلة النظر والمراجعة والتدقيق وأخذ القرار.

ثانيا: حسن اختيار الموضوعات الهادفة بأسلوب واضح سهل ، بحسن عبارة ، وقلم مسدد ، بعيداً عن الأسلوب المعقد والركيك أيضاً ، بما يليق بمجلة التوحيد وقرائها وتاريخها.

ثالثا: نواجه في كل شهر مشكلة تأخير المقالات وانتظار كاتبيها - وللأسف الشديد - في يوم طباعة المجلة إلى كل شهر بسبب تأخير بعض الكتاب.

رابعا: نرجو مراعاة الربط والتناسق بين العنوان والمضمون، مع مراعاة العلاقة بين الآيات والأحاديث وبين مضمون المقال والاهتمام البالغ بوضع مقدمة يسهل بها على القارئ فهم المقال والاستفادة منه.

جزاكم الله خيرا ونفع بكم البلاد والعباد.

إدارة المجلة

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

Upload by : altawhedmag.com

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

اليهود لا عهد لهم	الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد	٢
باب التفسير	د. عبد العظيم بدوي	٥
باب العقيدة	د. عبد الله شاكر	٨
طريقك إلى الرشد	د. محمد حامد	١١
نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية	د. السيد عبد الحليم	١٥
الحياء من الإيمان	د. جمال المراكبي	١٧
مكانة المسجد	الشيخ إبراهيم حافظ رزق	٢١
أحب عباد الله إلى الله تعالى	الشيخ عبده الأقرع	٢٤
واحة التوحيد	د. علاء خضر	٢٨
أمن الإيمان محبة الأوطان؟	د. أحمد بن سليمان أيوب	٣٠
تحذير الداعية من القصص الواهية	الشيخ علي حشيش	٣٤
الربا وفساد المعاملات	د. أيمن خليل	٣٨
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال	د. محمد عبد العليم الدسوقي	٤٣
الأم مدرسة تربوية	الشيخ صلاح عبد الخالق	٤٧
من فضائل الكتاب العزيز	الشيخ مصطفى البصراتي	٥٠
من روائع الماضي: فتح الأندلس	الشيخ محمد صفوت نور الدين. رحمه الله	٥٤
تفريج كربات الناس	الشيخ صلاح نجيب الدق	٥٧
الأمن وحقوق الإنسان في الإسلام	د. محمد محمود العطار	٥٩
الصلة والأنس في وليمة العرس	د. سيد عبد العال	٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهما ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الالكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

Upload by : altawhedmag.com

اليهود لا عهد لهم

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على خير مَن لله سجد، وبعد:

فإن ما يمر به العالم اليوم من أحداث متوقعة وغير متوقعة لهو أمر طبيعي، يدل على أن الدنيا متقلبة بأهلها، والمسلم وسط هذه الأحداث يؤمن بقضاء الله وقدره، وحكمته البالغة في تدبير شؤون كونه سبحانه، ويرجع المسلم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ليهتدي بهما وسط هذه الظلمات وليميز بين الخبيث والطيب.

وشر ما يجري في العالم اليوم إنما هو من أعمال اليهود، وما يُحدثونه في العالم من فوضى وتدمير وتخريب وإفساد لعقائد الناس، ولذلك وصفهم القرآن ومن على شاكلتهم بأنهم شر مَن يدبّ على الأرض، فإن شرهم يتعدى شرور الدواب المتوحشة.

فهم لا عهد لهم ولا ميثاق؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ

Upload by : altawhedmag.com

مَّرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) (الأنفال: ٥٥- ٥٦).

قال صاحب الكشاف رحمه الله: (الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ): أي: أصرّوا على الكفر ولجّوا فيه، فلا يُتوقع منهم إيمان، وهم بنو قريظة، عاهدهم الرسول صلى الله عليه وسلم ألّا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح، وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدوا فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق..

وشر الناس الكفار، وشر الكفار المُصرّون منهم، وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يقفون ولا يخافون عاقبة الغدر، ولا يبالون بما فيه من العار والنار. فكيف يُؤمَن غدر اليهود وما سلمت ألسنتهم من وصف الله بالفقر والبخل؟! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا: (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ) (المائدة: ٦٤).

> وشر الناس الكفار، وشر الكفار المُصرّون منهم، وشر المصرين الناكثون للعهود.

قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن اليهود -عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة- بأنهم وصفوا الله عز وجل وتعالى عن قولهم علوًا كبيرًا بأنه بخيل، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء، وعبروا عن البخل بقولهم: (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) فردَّ عليهم ما قالوه وقابلهم بما اختلقوه وافتروه وانتفكوه فقال: (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)، وهذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم".

وفي قوله تعالى: (لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ) (آل عمران: ١٨١). قال أبو جعفر: ذكر أن هذه الآية وآيات بعدها نزلت في بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن الكريم يهدي المسلمين إلى حقيقة اليهود وعداوتهم التي لا حدود لها، وأن هذه العداوة لا تنتهي إلا بأمر واحد وهو اتباع ملتهم: (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (البقرة: ١٢٠). بل يصف القرآن عداوتهم بالشدة كما أخبر سبحانه بذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟) (المائدة: ٨٢).

قال الإمام الطبري عند تفسيرها: "لتجدن يا محمد أشد الناس عداوة للذين صدّقوك واتّبعوك وصدقوا ما جئتهم به من أهل الإسلام: اليهود والذين أشركوا يعني عبدة الأوثان، قد يريد اليهود نقض العهود ليس مع المسلمين وحدهم، بل مع الأنبياء والمرسلين، بل مع رب العالمين، فكيف يُؤمَن شرّهم ويُرجى منهم خير وهم من نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وجحدوا عهد الله إليهم؟

(وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) (آل عمران: ١٨٧).

قال القرطبي رحمه الله: هذا متصل بذكر اليهود فإنهم أمروا بالإيمان بمحمد عليه السلام، وبيان أمره فكتموا نعته؛ فالآية توبيخ لهم، ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم، وقوله (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ) ترجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وإن

Upload by : altawhedmag.com

لم يَجْرِ له ذِكْر، وقيل ترجع إلى الكتاب، ويدخل فيه بيان أمر النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه في الكتاب، ولقد أخذ الله عليهم الميثاق في التوراة كما قال البغوي وهو العهد الشديد لعبادة الله وما يتبع ذلك من أوامر فما كان منهم إلا الإعراض ونقض الميثاق؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٣).

قال الطبري رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾. وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه بعدما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات، ويصلوا الأرحام ويتعاطفوا على الأيتام، ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم. فخالفوا أمره في ذلك كله وتولوا معرضين، إلا من عصمه الله منهم.

واليهود ليس لهم عهد في أي زمان ولا مكان، وما كان منهم من عهود ووفاء فبما يوافق هواهم ومصالحهم وبمجرد انتهاء الغرض من العهد سرعان ما ينقضون العهد.

قال الزمخشري رحمه الله: واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود، وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا، وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا. وصدق الله حين يقول: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (الأنفال: ٥٦).

وقال سبحانه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ١٠٠).

قال الإمام الطبري رحمه الله: وأما العهد فإنه الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربهم ليعملن بما في التوراة مرة بعد أخرى ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى، وشأن اليهود هو السبّ واللعن مع ما هم عليه من نقض العهود حتى مع أرحم عباد الله بعباد الله؛ فقد ورد في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك: (السام يعني الموت)، ففهمتها، فقلت: (وعليكم السام واللعنة)، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول الله: ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد قلت وعليكم».

> واليهود ليس لهم عهد في أي زمان ولا مكان، وهم موسومون بالغدر ونقض العهود.

وكل يهود المدينة نقضوا العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن صالحهم، كما قال ابن القيم، وكتب بينهم وبينه كتاب أمان، وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة؛ فحاربته بنو قينقاع بعد غزوة بدر، وأظهروا البغض والحسد، ثم نقض العهد بنو النضير، وأما قريظة فقد نقضوا العهد وتألبوا على المسلمين في غزوة الخندق، وقد طهّر الله المدينة من كل هؤلاء اليهود بعد نقضهم العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ألا فليحذر المسلمون حكامًا ومحكومين من كيد اليهود وغدرهم.

حفظ الله بلاد المسلمين من شر اليهود وأشياعهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٠- ٣٤).

إعداد: د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

منزلة نساء النبي صلى الله عليه وسلم:

ثم لما اختار نساء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رسول الله أنزل الله تعالى فيهن هذه الآيات، تكرمة لهن، وتعظيمًا لحقهن، فقال سبحانه:

«يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة» أي: ظاهرة القبح واضحة الفحش، وقد عصمهن الله عن ذلك، وبرأهن وطهرهن، «يضاعف لها العذاب ضعفين» أي: يعذبهن مثلي عذاب غيرهن من النساء إذا أتين بمثل تلك الفاحشة، وذلك لشرفهن، وعلو درجتهن، وارتفاع منزلتهن، وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف، وارتفاع الدرجات، يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات، «وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠)» لا يتعاظمه، ولا يصعب عليه. (فتح القدير: ٤/٢٧٦).

ولما توعدهن بتضعيف العذاب إن عصين وعدهن بتضعيف الأجر إن أطعن، فقال تعالى: «ومن يقنت منكن لله ورسوله» أي: تطع الله بفعل الأوامر وترك النواهي، وتطع رسوله محمدا -صلى الله عليه وسلم- فلا تعصي له أمرا، ولا تسئ إليه في عشرة، وتعمل صالحا من النوافل والخيرات، «نؤتها أجرها مرتين»: أي نضاعف لها أجر عملها، فيكون ضعف أجر عاملة أخرى من النساء غير أزواج الرسول -صلى الله عليه وسلم- (أيسر التفاسير: ٣/٥٦١).

«وأعتدنا لها رزقا كريما (٣١)» أي: في الجنة، فإنهن في منازل

Upload by : altawhedmag.com

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش. (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٨٢).

ثم بين سبحانه وتعالى العلة في تضعيف العذاب والأجر لهن، فقال: «يا نساء النبي لستن كأحد من النساء» قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم عليّ، وثوابكن أعظم لدي. (معالم التنزيل: ٤/٤٦٢).

وسبب ذلك أنه يوجد فيكن من التمييز ما لا يوجد في غيركن، وهو كونكن أمهات المؤمنين، وزوجات خير المرسلين، ونزل القرآن فيكن، فكما أنه -عليه السلام- ليس كأحد من الرجال، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (لستُ كأحد منكم) (صحيح البخاري: ١٩٦١)، كذلك زوجاته اللاتي تشرفن به. وهذا المعنى أبلغ في مدحهن، إذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى. (البحر المحيط ٧/ ٢٢٨و٢٢٩).

نهي النساء عن كل ما يثير الرجال:

ولما نهى الله سبحانه نساء نبيه -صلى الله عليه وسلم- عن الفاحشة، وكان من أسبابها كلام النساء مع الرجال، ولا سيما إذا تغنجت المرأة وتكسرت في الكلام، نهى الله سبحانه نساء نبيه -صلى الله عليه وسلم- عن الخضوع في القول الذي يطمع فيهن الرجال.

يقول سبحانه: «إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض» لا تلن بالقول للرجال، ولا ترققن الكلام، فيطمع الذي في قلبه مرض، أي فجور وشهوة، وقيل نفاق، والمعنى لا تقلن قولا يجد منافق أو فاجر به سبيلا إلى الطمع فيكن. (معالم التنزيل: ٤/٤٦٢ و٤٦٣).

إباحة كلام النساء مع الرجال بشروط:

ولما كانت الحاجة قد تدعو المرأة إلى كلام الرجال ومخاطبتهم أذن الله لهن في ذلك بشروط:

الأول: أن يكون ذلك الكلام من وراء حجاب، كما سيجيء قوله تعالى: «وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب» (الأحزاب ٥٣).

الثاني: أن يكون موضوع الكلام معروفا لا منكرا، كما قال تعالى: «وقلن قولا معروفا (٣٢)»، فإن موضوع الحديث قد يطمع مثل لهجة الحديث. فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء، ولا هذر ولا هزل، ولا دعابة ولا مزاح، كي لا يكون مدخلا إلى شيء آخر وراءه من قريب أو من بعيد.

والله سبحانه الخالق العليم بخلقه وطبيعة تكوينهم هو الذي يقول هذا الكلام لأمهات المؤمنين الطاهرات، كي يراعينه في خطاب أهل زمانهن خير الأزمنة على الإطلاق. فكيف بهذا المجتمع الذي نعيش اليوم فيه؟! كيف بهذا المجتمع الذي تهيج فيه الفتن وتثور فيه الشهوات، وترف فيه الأطماع؟! كيف بنا في هذا الجو الذي كل شيء فيه يثير الفتنة ويهيج الشهوة، وينبه الغريزة، ويوقظ الشعار الجنسي المحموم؟! كيف بنا في هذا المجتمع، ونساء يتخنثن في نبراتهن، ويتميعن في أصواتهن، ويجمعن كل فتنة الأنثى، وكل صفات الجنس، وكل شعار الشهوة، ثم يطلقنه في نبرات ونغمات. وإلى الله المشتكى.

لزوم المرأة بيتها إلا لحاجة:

ومن أعظم أسباب وقاية المجتمع من الفاحشة لزوم النساء بيوتهن، فلا يرين أحدا، ولا يراهن أحد، ولذلك قال تعالى: «وقرن في بيوتكن» أي الزمن بيوتكن ولا تخرجن منها، فإن خروج المرأة يعرضها للفتنة والافتتان، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان) (صحيح الترمذي: ١١٧٣). والمعنى أنها ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفي إغواء الناس، فإذا خرجت طمع وأطمع، لأنها من حبائله وأعظم فخوخه. (فيض القدير ٦/٢٢٦).

Upload by : altawhedmag.com

التبرج وعقوبته:

ولَمَّا كان لا بُدَّ للمرأة من الخروج للحاجة فقد أذن لها ربُّها سبحانه في الخروج بشرط، وهو المصرَّح به في قوله تعالى: «ولا تبرَّجْنَ تبرُّجَ الجاهليَّة الأولى». والتبرُّج هو إظهار المرأة محاسنها، وإبداؤها زينتها لمن لا يجوز له رؤيتها. قال مجاهدٌ رحمه الله: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرُّج الجاهليَّة. وقال قتادة رحمه الله: وكانت لهنَّ مشية تكسُّر وتغنُّج، فنهى الله عن ذلك. وقال مقاتل بن حيان- رحمه الله-: والتبرُّج أنها تُلقي الخمار على رأسها، ولا تشدُّه فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كلُّه منها. (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٨٢ و٤٨٣).

ولو قيس تبرُّج الجاهليَّة على تبرُّج النساء في ذلك العصر لَعُدَّ تبرُّج الجاهليَّة حشمةً ووقارًا، فحال المرأة اليوم لا يخفى على أحد، فقد انكشفت الشعور والسيقان، والسواعد والركب والصدور، والكاسية منهن عارية، لأنها وإن سترت فقد وصفت، فالبلوزة والقميص قد فصل مقاطع أعلاها، والبنطلون قد فصل مقاطع أسفلها، ولا حياء ولا خجل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا التبرُّج فاحشة، وهو يؤدي إلى إشاعة الفاحشة، ولذلك توعَّد الله المتبرِّجات بالنار، كما في الحديث عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما، قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عاريات، مُميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا). (صحيح مسلم ٢١٢٨).

أمر النساء بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة:

ولَمَّا نهى الله تعالى نساء النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- والمسلمات تبعٌ لهنَّ- عمَّا لا يليق بهنَّ من التبرُّج والسفور والخضوع في القول، ممَّا يشيع الفاحشة في الذين آمنوا، أمرهنَّ من العبادات بما يطهِّرهنَّ ويزكيهنَّ، فقال تعالى: «وأقمْنَ الصلاة وآتين الزكاة وأطعْنَ الله ورسوله». وخصَّ الصلاة بالذكر لأنها عنوان صلة العبد بربه، وخصَّ الزكاة بالذكر لأنها تواصل المجتمع وتراحمه، ثم عمَّ فأمر بطاعة الله ورسوله طاعة مطلقة في كل ما أمر به الله ورسوله، ثمَّ أتبع ذلك ببيان الحكمة من هذه الأوامر والنواهي، فقال تعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» أي إنما وصاكنَّ الله بما أوصاكنَّ من التقوى، وأن لا تخضعْنَ بالقول، ومن قول المعروف، والسكون في البيوت وعدم التبرُّج، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والطاعة، ليذهب عنكم الرجس أي الإثم والذنب المدنسين للأعراض، الحاصلين بسبب تَرْك ما أمر الله به، «ويطهركم تطهيرًا (٣٣)» أي: يطهركم من الأرجاس والأدران تطهيرًا كاملًا. (فتح القدير ٤/٢٧٨).

أمرهنَّ بذكر الكتاب والسُّنَّة:

ولَمَّا أمرهنَّ بالعمل، الذي هو فعلٌ وتركٌ، أمرهنَّ بالعلم، وبيَّن لهنَّ طريقه، فقال: «واذكرْنَ ما يُتلى في بيوتكنَّ من آيات الله والحكمة» والمراد بآيات الله القرآن الكريم، والحكمة هي السُّنَّة. وأمرهنَّ بذكره يشمل ذكر لفظه بتلاوته، وذكر معناه بتدبُّره والتفكُّر فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله (تيسير الكريم الرحمن: ٦/٢٢٠).

«إنَّ الله كان لطيفًا خبيرًا (٣٤)». أي: بلطفه يكنَّ بلغْنَ هذه المنزلة، وبخبرته يكنَّ وأنكنَّ أهل لذلك، أعطاكنَّ ذلك وخصَّكنَّ به، فاشكرْنَ الله على ذلك واحمدْنه، فإنَّ فضله كان عليكنَّ عظيمًا. (تفسير القرآن العظيم ٣/٤٨٦).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

العمل بالمصالح المرسلة ليس من الابتداع في الدين

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. وبعد: استكمالاً لما سبق في موضوع البدع وبيان خطورتها على الإسلام والمسلمين، نبين في هذا المقال بعون الله الفروق الجوهرية بين المصالح المرسلة والبدعة في الدين؛ حيث ظن بعض الناس أن العمل بالمصالح المرسلة، والقول به، والأخذ به من البدعة، ولذلك جاءت هذه المقالة لبيان هذا الأمر، ويندرج تحتها النقاط التالية:

(أ) تعريف المصلحة:

يرد ذكر المصالح المرسلة وحكم الاستصلاح في موضعين من أبحاث علم أصول الفقه:

أولهما: في باب القياس عند الكلام عن أقسام المناسب من حيث الاعتبار وعدمه.

ثانيهما: عند الحديث عن الاستدلال وأقسامه وحكم كل قسم.

بَيْدَ أنه قد حصل اضطراب شديد في معنى المصالح المرسلة، وفي مشروعيتها، وفي أدلتها، وأمثلتها، وحكم إعمالها وتطبيقها.

وسنتكلم عن بعض هذه الأمور مما يظن أن له علاقة بموضوع البدعة.

المصلحة المرسلة وما يقاربها من المعاني:

اختلفت تعابير العلماء واطلاقاتهم في هذه المسألة، فبعضهم يُعبّر عنها بالاستصلاح، وبعضهم يُعبّر بالاستدلال، وبعضهم يُسمّيها المناسب المرسل، وتتداخل مع هذه التعابير بعض المصطلحات الأخرى التي قد تلتبس بها، وذلك مثل: العلة، والحكمة، والوصف المناسب.

وسنبين معنى المصلحة، والاستصلاح، ونكتفي بذلك.

فنقول: المصلحة: هي المنفعة التي قصدها الشارع

Upload by : altawhedmag.com

الحكيم لعباده من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، وفق ترتيب معين فيما بينها. هذا معناها العام.

أما على سبيل الخصوص المتعلق بالمصالح المرسلة وغيرها، فيدور معناها حول النظر في أحكام الشريعة من حيث جوانب المصلحة المترتبة على هذه الأحكام.

أما معناها الخاص بالمصلحة المرسلة: فيُراد به الوصف الذي لم يثبت اعتباره ولا إلغاؤه من قبل الشارع، أو هي: كل مصلحة داخلة في مقاصد الشارع، ولم يرد في الشرع نص على اعتبارها بعينها أو بنوعها، ولا على استبعادها.

هذا تعريف المصلحة، وتعريف المصالح المرسلة.

تعريف الاستصلاح:

الاستصلاح لغةً: طلب المصلحة، وفي اصطلاح أهل الأصول: ترتيب الحكم الشرعي على المصلحة المرسلة، بحيث يحققها على الوجه المطلوب، واسم الاستصلاح يُطلق على عمل المجتهد، وهو ما أداه إليه اجتهاده من ترتيب الحكم الشرعي وفق المصلحة المرسلة، أو بعبارة أخرى: الحكم بمقتضى المصلحة التي لا يشهد لها دليل خاص بالإلغاء أو الإثبات، وتكون متفقة مع مقاصد الشريعة العامة.

(ب) شروط وضوابط المصلحة التي تُبنى عليها الأحكام الشرعية:

لا بد من ذكر هذه الشروط والضوابط؛ حتى لا يظن إنسانٌ أن العمل بالمصلحة المرسلة من باب الهوى والبدع.

وهذه الشروط كما يلي:

- الشرط الأول: عدم معارضة المصلحة لنصٍّ من الكتاب أو السنة:

ولا يمكن حينئذٍ أن تسمَّى مصلحة إلا من باب التجوز من جهة نظر المجتهد لا في حقيقتها؛ لأنه لا يمكن أن تتعارض مصلحة معتبرة شرعًا مع الوحي؛ لأن ذلك يستلزم أن يعارض الدليلُ مدلوله، وهذا باطل، ثم إن النقل هو الشاهد على اعتبار المصلحة أو إلغائها، فكيف يقبل معارضتها له؟ فليس للمجتهد -وإن توهم المصلحة في حكم ما- أن يتبع تلك المصلحة إلا بعد عرْضها على الوحي، فإن كانت موافقة له أخذ بها، وإن كانت معارضة له وجب تركها.

والأدلة على هذا الشرط كثيرة وفيرة من الكتاب والسنة والآثار والإجماع والقياس والمعقول.

والمقصود بمعارضة المصلحة لنصوص الكتاب والسنة: معارضتها لمنطوق النص أو مفهومه، سواء كان النص قاطعًا أو ظاهرًا جليًا أو غير جليٍّ، وتسمى المصلحة في هذه الحالة «مصلحة موهومة». وسواء كان النص قطعي الثبوت كالقرآن، أو ظني الثبوت كخبر الآحاد، أو كان قطعي الدلالة أو ظنيها فيهما، فإنه لا يجوز تقديم المصلحة فيه.

فأما ظنية ثبوت خبر الآحاد: فإنها لا تنافي قطعية وجوب العمل به. وأما ظنية الدلالة: فهي بحسب نظر المجتهد، ولكن لا يعدوها إلى ما هو دونها كالمصالح والاستحسان، ونحوهما؛ لأولية النص منطوقًا ومفهومًا.

ويدخل في هذا الشرط قول الصحابي الذي له حُكم المرفوع، وفتواه التي اشتُهرت ولم تعارَض، والتي لم تشتهر ولم يعلم لها مُعارِض.

- الشرط الثاني: عدم معارضة المصلحة للقياس:

بين القياس ومطلق المصلحة أوجُه اتفاق وأوجه افتراق؛ إذ القياس إنما هو مراعاة مصلحة في فرع بناءً على مساواته في علة حكمه المنصوص عليها، ففي القياس مراعاةٌ لمطلق المصلحة بعلة اعتبرها الشارع، فكل قياس مراعاةٌ للمصلحة، وليس كل مراعاة للمصلحة قياسًا، إذ تنفرد المصلحة بأن أحد أقسامها- وهو الاستصلاح أو المصالح المرسلة- هي المصالح التي يراها المجتهد مما لا شاهد يؤيده من أصل يُقاس عليه، ولا دليل يلغيه من الوحي، وإن كانت مستندة إلى دليل ما اعتبره الشارع، غير أنه دليل لا يتناول أعيان هذه المصلحة بخصوصها، وإنما يتناول الجنس البعيد لها، كجنس حفظ العقل والنسب والروح، وإنما يقال ذلك في دليل المصلحة المرسلة بأن هذا هو حالها

Upload by : altawhedmag.com

حقيقةً، ولأن تجريدها من الدليل الشرعي الذي تستند عليه يجعلها من قبيل التشهي النفسي والهوى، لكن دليل المصلحة أقل من دليل القياس، إذ دليل المصلحة يتناول الجنس البعيد للمصلحة، وتنضوي ضمن مقاصد الشريعة وكلياتها العامة.

أما دليل القياس فإنه يتناول عين الوصف المناسب، ويدل عليه صراحةً، كما في الوصف المؤثر، أو بواسطة جريان الشارع على فقه كما في الوصف الملائم، ومن أجل هذا الاختلاف في مرتبة كل من القياس والمصالح المرسلة وجب تقديم القياس على المصالح المرسلة، وعدم اعتبارها إذا تعارضت مع القياس، مع ملاحظة أنه لا يوجد تعارض حقيقي بين ذات كل من المصالح المرسلة والقياس، وإنما يوجد التعارض في نظر المجتهد كما تخيله وبدا لرأيه من كون هذا الأمر مصلحة مرسلة أو قياسًا، إذ لا يطلق على أي منهما كونه مصلحة مرسلة أو قياسًا في حقيقة الأمر، إلا إذا سلم كلٌ منهما من عوارض الإبطال والإلغاء.

- الشرط الثالث: عدم تفويت المصلحة المرسلة لمصلحة أهم منها، أو مساوية لها:

من المعروف-عقلًا ونقلًا- أن المصالح تتفاوت في رُتبها من حيث أهميتها، وباعثها، ورجحان وقوعها وعدمه، ومقدار شمولها، وتيقن نتائجها وعدمه، فإذا تعارضت مصلحتان في محل واحد بحيث لا تنال واحدة منهما إلا بتفويت الأخرى، وجب النظر إليها من خلال درجات التفاوت المذكورة؛ لأن الشرع جاء لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت مصلحتان وجب الأخذ بالأعلى منهما بالنظر إلى درجات التفاوت السالفة، وإن أدّى ذلك إلى تفويت مصلحة أدنى.

- الشرط الرابع: النظر في السبب المحوج لهذه المصلحة:

وقد نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- فقال: "إن الناس لا يُحدثون شيئًا إلا لأنهم يرونه مصلحة؛ إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه، فإنه لا يدعو إليه عقلٌ ولا دين، فما رآه الناس مصلحة نُظر في السبب المحوج إليه؛ فإن كان السبب المحوج إليه حدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم من غير تفريط منه، فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه، وكذلك إن كان المقتضي لفعله قائمًا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن تَركه النبي صلى الله عليه وسلم لمعارض زال بموته.

أما ما لم يحدث، أو يكون هناك سبب يحوج إليه، أو كان السبب المحوج إليه بعض ذنوب العباد، فهنا لا يجوز الإحداث، فكل أمر يكون المقتضي لفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم موجودًا، لو كان مصلحة ولم يفعل علم بأنه ليس بمصلحة، وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخلق فقد يكون مصلحة.

(جـ) الصلة بين البدع والمصالح المرسلة:

هناك خلطٌ كبير بين البدعة والمصلحة المرسلة، لكن لمزيد بيان لذلك لا بد أن نبين بعض النقاط في هذا، فأقول:

إن البدعة والمصلحة المرسلة قد تشتركان في بعض المسائل، وقد تفترقان في مسائل أخرى، ولذلك لما كان هناك صلة بين البدع والمصالح المرسلة اختلط الأمر على بعض الناس، وحَسَّنَ بعض العلماء-ومَن ينتسب إلى العلم-، بعض البدع، واستساغوها، محتجين بالأعمال والفتاوى التي انبنت على الاستصلاح في عهد الصحابة والتابعين ومَن بعدهم كالأئمة الأربعة، وقد ضربوا لذلك أمثلة للأقسام التي جعلوها للبدعة؛ لأنهم قسموا البدع إلى خمسة أقسام بحسب الأحكام الشرعية الخمسة، وضربوا لها أمثلة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

طريقك إلى الرشد؛ «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»

أ.د. محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فإنَّ المتأمل في آيات القرآن الكريم ليقف على فاصلة فريدة خُتمت بها إحدى آياته، ولم تتكرر في موضع آخر من القرآن الكريم.

وهذه الفاصلة هي قوله جلَّ ذكره: «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦).

وما مِن شكٍّ أنَّ العبد إذا رشد فقد أحرز خيرًا كثيرًا، وفاز فوزًا عظيمًا؛ بل إنه في الحقيقة لم يَفُتْهُ شيء، وإن فاته من عَرَض الدنيا أكثره، ومِن حُسنها معظمه.

إنَّ ربَّ العزة -سبحانه وبحمده- ذكَر الرشد في مقابلة الشر والضر؛ فثبت بذلك أن الرشد هو الخير، وأنه النفع الذي لا غِنَى للعبد عنه.

Upload by : altawhedmag.com

قال تعالى ذاكرًا قولَ مؤمني الجنّ: «وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا» (سورة الجن:١٠)، وقال تعالى: «قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا» (سورة الجن: ٢١).

والرُّشد بضم الراء، وسكون الشين، أو بفتح الراء والشين (الرَّشَد) لغتان في الكلمة بمعنى واحد، وقيل: بالضم: بمعنى الصلاح، وبالفتح بمعنى العلم، وقد وردت بكلا الوجهين القراءات المتواترة في بعض المواضع القرآنية كقوله تعالى: «وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» (سورة الأعراف:١٤٦) ففي كلمة (الرشد) الوجهان السابقان (ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣١٢).

والرشد خلاف الغي؛ ولذا قابل الله عز وجل بينهما في الآية السابقة.

والغي أو الغواية: الجهل مع اعتقاد فاسد، وتعلق بالباطل، وانهماك في الشر (ينظر: فتح الباري لابن حجر(١/١٦٤)، وروح المعاني للألوسي(١٤/٤٥)، والتحرير والتنوير(٢٧/٩٢)).

والرشد على ذلك معرفة الحق، والانقياد له.

والناس "على ثلاثة أقسام: راشد وغاوٍ وضالّ. فالراشد عرف الحق واتبعه، والغاوي: عرفه ولم يتبعه، والضال: لم يعرفه بالكلية، فكل راشد فهو مهتدٍ، وكل مهتدٍ هداية تامة فهو راشد؛ لأن الهداية إنما تتم بمعرفة الحق والعمل به أيضًا "(جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي(٢/١٢٦)).

وقد أثنى الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال عز وجلّ: «وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ» (سورة النجم: ١-٢).

فالضلال نقيض الهدي ويكون غالبًا عن جهل، والغيُّ نقيض الرشد ويكون غالبًا عن اتباع الهوى، ورسولنا صلى الله عليه وسلم إمام المَهديين الراشدين الذين علموا الحق، وعملوا به، وبلغوه، وصبروا على الأذى فيه.

وفي "إيثار التعبير عنه بوصف «صَاحِبُكم» تعريض بأنهم أهل بهتان؛ إذ نسبوا إليه ما ليس منه في شيء مع شدة اطلاعهم على أحواله وشؤونه؛ إذ هو بينهم في بلد لا تتعذر فيه إحاطة علم أهله بحال واحد معين مقصود من بينهم" (التحرير والتنوير(٢٧/٩٢)).

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بخلفائه الذي جاءوا من بعده (وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم)، كما جاء في حديث العِرْباض بْن سَارية، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» (سنن الترمذي (حديث٢٦٧٦) وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن حبان في صحيحه (حديث٥)).

فوصفهم صلى الله عليه وسلم بـ "الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ"، وهذا ثناء جميل، ووصف نبيل لأولئك الخلفاء.

Upload by : altawhedmag.com

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٢٦/٢): "وانما وصف الخلفاء بالراشدين، لأنهم عرفوا الحق، وقضوا به، فالراشد ضد الغاوي، والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه، وفي رواية: "المهديين" يعني: أن الله يهديهم للحق، ولا يضلهم عنه".

أيها اللبيب المكرم: بعد أن عرفت معنى الرشد عُدْ معي إلى الآية التي استفتحنا بها المقالة وهي قوله جلَّ ذكره: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (سورة البقرة: ١٨٦)؛ لنستلهم منها أن طريق الرشد يتلخص في أمرين عظيمين هما الإيمان والاستجابة.

فإذا رُمْتَ أن تكون من الراشدين فدونك هذين الأمرين، وكلما ازددت إيمانًا، واستجابة ازداد رشدك، وعظمت هدايتك.

والإيمان بالله أعظم ما يحققه المرء في هذه الحياة، وبدونه فالعبد في ضلال وغواية، وبعد عن الحق وعماية.

وقد أمرنا الله بالإيمان به عز وجل والاستجابة له في مواضع كثيرة من كتابه العزيز؛ فمن ذلك قوله سبحانه: «آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير»، وقوله سبحانه: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » (سورة الأنفال: ٢٤)، وقوله عز وجل: « اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ » (سورة الشورى: ٤٧).

وهذا الإيمان، وتلك الاستجابة يُعين عليهما، ويَدْعو إليهما العلم النافع الذي يقود إلى العمل الصالح.

وقد طلب موسى الكليم عليه السلام من الخضر عليه السلام أن يتبعه من أجل تحصيل هذا الرشد؛ قال عز وجل: « قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا » (سورة الكهف: ٦٦).

ونحن نقف على طريق الرشد، وسُبل الهدى في كتاب ربنا، وفي هدي نبينا صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » (سورة الجن: ١-٢).

وينبغي للعبد إذا علم الحق أن يبادر إلى العمل به، وأهلُ العلم هم أحقُّ الناس بهذا الوصف الجليل "الرشد"، وقد دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم للأئمة؛ لعلمه صلوات الله وتسليماته عليه بعلو قدرهم، ورفعة منزلتهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأَئِمَّةَ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ» (سنن الترمذي (حديث ٢٠٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٢٨)، وابن حبان في صحيحه (١٦٧٢)).

وكان مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد..."

Upload by : altawhedmag.com

(أخرجه ابن حبان في صحيحه (حديث٩٣٥)، والحاكم في مستدركه (١٨٧٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»).

وفي هذا الحديث فوائد منها:

أولا: أهمية الدعاء، وسؤال الله عز وجل والافتقار إليه، وليس بخافٍ أننا نسأل الله الهداية في كل ركعة من صلواتنا حين نقرأ فاتحة الكتاب.

وقد ذكر الله لنا عن الفتية أصحاب الكهف دعاءهم الطيب فقال عزَّ من قائل: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (سورة الكهف:١٠).

ثانيًا: أهمية العزيمة على الرشد، وذلك أن العبد قد يُحْرَم الرشد بسبب كسله، وتقاعسه، وتسويفه، كما يُحرَم بسبب جهله، واتباعه الهوى؛ نسأل الله السلامة والعافية.

ولذا كان على العبد أن يُحكم أمره، ويجمع قلبه، ويتحرى سبيل الرشد، ويتوقى سبل الغي. ومن يتحرَّ الخير يوفقْ له، ويسهلْ عليه، ويسعدْ به. قال مؤمنو الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (سورة الجن:١٤).

وإذا علمت -أيها الموفق- أن طريقك إلى الرشد إيمانك بربك واستجابتك لك؛ فاعلم أن رب العزة سبحانه قد أوضح لك ما تقف به على حقيقة رشدك، وموقعك من الاستجابة تقدمًا وإقبالًا، أو تأخرًا وإدبارًا؛ فقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (سورة الحجرات:٧).

فالراشد وجد في قلبه حلاوة الإيمان، وطعمه؛ فأحب الطاعة ورغب فيها وأقبل عليها، وكره المعصية على اختلاف مراتبها من كفر وكبائر وصغائر.

وعلى قدر حبّك للطاعة والإقبال عليها، وبغضك للمعصية، وحرصك على الابتعاد عنها يكون رشدك، وتتحقق استجابتك.

وإذا وجدت في نفسك ميلا إلى معصية، وتعلقًا بها، ورغبة في اقترافها، فهذا لنقص عندك في الرشد.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "(صحيح البخاري (حديث١٦)، وصحيح مسلم (حديث٦٧)).

واعلم -أيها اللبيب- أنَّ من أعظم الصوارف عن الرشد تكبُّرَ الإنسان عن قبول الحق، والغفلةَ عن الله وآياته؛ وقد ذكرهما الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٦).

نعوذ بالله من الكبر والغفلة، ونسأله الهداية والثبات والعزيمة على الرشد.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة 4

نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

إعداد الشيخ د. السيد عبد الحليم محمد حسين
من علماء أنصار السنة المحمدية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى من اتبع هداه، إلى يوم أن نلقاه. وبعدُ:
فتكمل حديثنا عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

عصره:

لقد اتسم العصر الذي عاش فيه إمامنا بحوادث خطيرة، وقلاقل كثيرة، وشهد اضطرابًا وانحرافًا في مختلف جوانب الحياة، فهو عصر متلاطم بأمواج الضعف والفساد والانحراف.

أولاً: الجوانب الدينية:

تعددت العقائد والفِرَق، وتباينت المِلَل والنِّحل، وضم المجتمع عناصر شتى، وأجناسًا مختلفة من فِرَق الرافضة، والإسماعيلية، والشيعة، واليهود، والنصارى، بجوار التصوف الذي دخله كثير من الأفكار والعناصر غير الإسلامية، وانتمى إليه كثير من الجهلاء والمنحرفين، والمبتدعين المارقين، وتسببوا في إضلال العامة والخاصة، فازدهر الشرك، وتفشت البدع، وعمَّت الخرافات، وازدادت الترهات والخزعبلات. وانتشر التعصب المذهبي، ولعبت الفلسفة دورًا خطيرًا في التحرُّر من قيود الدين وتعاليم الأنبياء. وتصارعت الفِرَق فيما بينها حتى عمت البلوى، وانتشرت الفوضى، فاشتدت غربة الإسلام، وتفرَّقت كلمة المسلمين. وخيَّم الجمود الفكري، والتقليد الأعمى، وطغى علم الكلام حتى حل محل الكتاب والسنة في الاستدلال، فضعف سلطان العقيدة، وأصبحت مجالًا للأخذ والرد، واجترأ الناس على الكلام في الله وصفاته، بما لم يأذن الله به، فخبا نور الإيمان، وانطفأ سراج اليقين، وضعف الوازع الديني في نفوس المسلمين.

وظهر ابن تيمية في هذا الجو المعتم حاملًا لواء الإصلاح والتجديد، فكان ضياء لامعًا بعلمه الغزير، وفكره الأصيل، يؤلف الكتب والرسائل، ويرد على أصحاب الفِرَق، فكان كالشهب الحارقة، على الجهمية والمؤولة والفلاسفة والروافض، والمتصوفة، وعلى الجمود الفكري، والخمول الفقهي، وعلى المبتدعة والقبوريين، فأعاد للشريعة نقاءها، وللعلوم صفاءها.

وما كاد يظهر فضل الشيخ بين قرنائه حتى حسدوه، وأضمروا له الحقد والشنآن، ورموه بما يؤذيه لدى السلطان، وحاكوا له المؤامرات، ودبروا له المكائد، فيدخل السجن كل مرة، ثم ينجيه الله منهم.

ومن تلك المواقف ما يأتي:

١- فتواه بأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، فمن اعتقد ذلك عبادة، فهو مخالف للسنة والإجماع، وإذا سافر لاعتقاده أنها طاعة كان ذلك محرمًا بإجماع المسلمين.. فأول

Upload by : altawhedmag.com

الخصوم الفتوى: إذ الشيخ يحذر من شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين. وأولوها على مجرد الزيارة.. من هنا ناله الحبس.

٢- في مناظرة رسالته «العقيدة الواسطية»: التي كتبها لرضي الدين الواسطي، لتكون عمدة له ولأهل بيته بناء على طلبه؛ فأثارت ثائرة الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الأحقاد، فأوغروا صدر السلطان، فأمر نائبه بجمع قضاة المذاهب والمشايخ والمفتين، وتباحثوا معه في هذه العقيدة.

٣- في الموقف من رسالته «الحموية» التي أجاب فيها على سؤال ورد إليه، وذكر فيها معتقد السلف الصالح الخالي من الشبه والتأويلات الباطلة، والخرافات المبتدعة التي ظهرت عند الناس بعد عصر الصحابة والتابعين. فأقام أهل البدع الشائعات، وأشاعوا الشغب والفوضى، وآذوا الشيخ وبعض أتباعه.. ولكن هيأ الله للشيخ أميرًا أخذ على أيدي هؤلاء حتى اختفوا، وسكنت الفتنة.

ثانيًا: الحالة السياسية:

فكانت العصور الوسطى التي نشأ فيها إمامنا، عبارة عن ممالك صغيرة، يحكمها أمراء من العجم، والخليفة شبه معزول عن الأحداث، والسلطان الذي يحكم سرعان ما يتغير بسبب الثورات والدسائس والانقلابات، فالدولة في اضطراب سياسي أدى إلى التفكك والتدابر والانقسام، فضعف المسلمون عن مقاومة أعدائهم في الخارج.

يقول ابن الأثير: «لقد بُلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يُبتل بها أحد من الأمم.

منها: ظهور التتار، قبّحهم الله، أقبلوا على المشرق، ففعلوا الأفعال التي يستقبحها كل من سمع بها.

ومنها: خروج الفرنج، لعنهم الله، من الغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر، وملكهم ثغر دمياط منها، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرهما على أن يملكوها، لولا لطف الله تعالى، ونصره عليهم» (الكامل: ٩/ ٣٣٠).

وصوّر ابن تيمية ذلك فقال: «فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول، سلّط عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئًا بعد شيء إلى أن أخذوا بيت المقدس... وبعد هذه بمدة حاصروا دمشق. وكان أهل الشام بأسوأ حال من الكفار النصارى، والمنافقين الملاحدة». (الفرقان بين الحق والباطل).

لم يزل خطر التتار يزداد، وأمرهم يستفحل، وتسقط في أيديهم بلاد المسلمين بلد بعد بلد، حتى استولوا على «بغداد» عاصمة الخلافة، وقتلوا الخليفة «المستعصم»، وأحالوا هذه المدينة العامرة خرابًا.. ثم دخل التتار «حلب» بعد «بغداد» وذهبوا إلى «دمشق» فاستولوا عليها، وقويت شوكة النصارى، وأعداء الإسلام إثر ذلك.

وكان لشيخ الإسلام مشاركات جدية في حرب هؤلاء التتار بلسانه وسنانه، فكان يعقد المجالس في المسجد الجامع لحض الناس على الجهاد، والنفقة. وقد حضر بعض الغزوات بنفسه، وحمل السلاح، وخاض المعارك، وقابل ملوك التتار، وخاطبهم بقوة وثبات.

ثالثًا: الحالة الاجتماعية:

لم تكن الحياة الاجتماعية مستقرة، فقد أدت كثرة الغارات على البلاد الإسلامية، وتنازع أمراء المسلمين فيما بينهم؛ إلى اضطراب الأمن في ربوع البلاد، وسيطر على الناس حالات من الرعب والفزع، وانتشرت الفاقة وكثر اللصوص، وقطاع الطرق، واشتد الغلاء، وقدم «جراد» عظيم على بلاد الشام، فأكل الزرع والثمار، وجرد الأشجار، حتى صارت مثل العصي، فاجتمع على الناس الغلاء، والوباء، والفناء، والطعن والطاعون، فعمد الناس إلى الغش في المبايعات، واحتكار الأقوات، وتطفيف المكيال والميزان.

لهذا كانت حياة المسلمين الاجتماعية-في ذلك العصر- فاسدة، كاسدة. وبحاجة إلى مصلح مخلص جريء، بصير بموطن الداء، وكيفية العلاج. فكان ابن تيمية من أولئك المصلحين المخلصين، فعمل على إزالة تلك المنكرات والمفاسد بيده وقلمه وبيانه، ودار على الخمارات والحانات مع أصحابه فكسروا آنيتها، وأراقوها، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش. وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

روى أبو داود في السنن قال: حدثنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا شعبة عن منصور، عن ربعي بن حراش عن أبي مسعود البدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فافعل ما شئت". الحديث رواه البخاري في موضعين من صحيحه.

الأول: في كتاب أحاديث الأنبياء بروايتين: قال في الأولى: حدثنا أحمد بن يونس عن زهير.. وقال في الثانية: حدثنا آدم حدثنا شعبة.

والثاني في كتاب الأدب، باب: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

قال حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا منصور عن ربعي بن حراش حدثنا أبو مسعود قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

والحديث رواه أحمد في مسنده في مواضع ورواه ابن ماجه في السنن.

والحديث لم يروه مسلم في صحيحه.. ولهذا يعدونه من أفراد البخاري عن مسلم.

ومدار الحديث على منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن أبي مسعود البدري، واسمه عقبة بن عمرو الأنصاري البدري.. واختلف في شهوده بدرًا، وإنما قيل له البدري: لأنه سكن قريبًا من بدر فنُسب إليها.

وإنما أوردت رواية أبي داود أولًا لنكتة في الإسناد: فقد رواه القعنبي عن شعبة.

والقعنبي هو عبدالله بن مسلمة القعنبي لم يرو عن شعبة إلا هذا الحديث فقط، وهذا عجيب؛ لأن القعنبي إمام جليل يكفي أن تعلم أنه أجلّ مَن روى الموطأ عن مالك من بين كل تلامذته؛ قال أبو زرعة الرازي: ما كتبت عن أحد أجلّ في عيني من القعنبي. وقال ابن أبي حاتم: لم أرَ أخشع منه. وقال يحيى بن معين: ما رأيت رجلاً يُحدّث لله إلا وكيعًا والقعنبي.

وقال عبدالله الخريبي: حدثني القعنبي، عن مالك وهو والله عندي خير من مالك.

قال عمرو بن علي الفلاس: كان القعنبي مجاب

Upload by : altawhedmag.com

الدعوة.

وقد تكلم أهل العلم في سبب عدم روايته عن شعبة مع أنه لقيه في البصرة، فلماذا لم يرو عنه إلا هذا الحديث فقط. قال الحافظ أبو عمرو أحمد بن محمد الحيري: سمعت أبي يقول: قلت للقعنبي: ما لك لا تروي عن شعبة غير هذا الحديث؟ قال: كان شعبة يستثقلني، فلا يحدثني.

وقد ذكر ابن قدامة في كتاب التوابين قصة مفادها أن القعنبي كان شابًا عابثًا يشرب النبيذ، وأنه وجد شعبة بن الحجاج في البصرة بين تلامذته فقال: من هذا؟ قالوا: شعبة. قال: وأي شيء شعبة؟ قالوا: مُحدّث. فقال له: حدثني. فرفض شعبة، فأخرج القعنبي سكينًا، وقال: حدثني والا جرحتك. فحدّثه شعبة بهذا الحديث وقال: والله لا أحدثك غيره. ففهم القعنبي أنه تجاوز الحدّ مع الشيخ بسبب قلة حيائه، فكان هذا الحديث سببًا في توبته، وسافر إلى المدينة فأخذ العلم عن الإمام مالك.

وقد ضعّف الذهبي هذه القصة، وذكر قصة أعجب منها في دخوله على شعبة بيته بغير استئذان وكان شعبة يتبول فقال له: حدثني.

فقال له: تدخل بيتي بغير استئذان، وتكلمني وأنا على هذه الحال.

فقال: إني خشيت الفوت؛ أي الموت.

فحدثه شعبة بهذا الحديث، وقال: لا أحدثك غيره.

والراجح والله أعلم ما ذكرنا آنفا من قول القعنبي: كان شعبة يثتثقلني.

شرح الحديث:

قال ابن رجب الحنبلي: فقوله-صلى الله عليه وسلم-: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى"، يشير إلى أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين، وأن الناس تداولوه بينهم وتوارثوه عنهم قرنًا بعد قرن، وهذا يدل على أن النبوة المتقدمة جاءت بهذا الكلام، وأنه اشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمة.

وفي بعض الروايات: لم يدرك الناس من كلام النبوة الأولى إلا هذا.

وقد عرف الحياء في أهل الجاهلية، وكان مما يتمدح به:

قال أمية بن أبي الصلت يمدح عبدالله بن جدعان التيمي:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفاه من تعرُّضه الثناء

وصفه بغاية الجود، وأنه لا يُحوج قاصده إلى المسألة، ويكفيه منها ثناؤه عليه.

وقد استحيا أبو سفيان، وهو على الشرك والكفر أن يكذب على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حين سأله هرقل قيصر الروم عن النبي-صلى الله عليه وسلم- حتى لا يؤثر عنه أنه كان يكذب.. (رواه البخاري).

قال ابن رجب: وقوله-صلى الله عليه وسلم-: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت"، في معناه قولان: أحدهما: أنه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء، ولكنه على معنى الذم والنهي عنه.

وأهل هذه المقالة لهم طريقان: الطريق الأول: أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد. والمعنى: إذا لم يكن حياء فاعمل ما شئت فالله يجازيك عليه؛

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت: ٤٠)؛ والمعنى: اعملوا ما شئتم، فإن الله تعالى بأعمالكم بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم على ذلك.

وفي هذا وعيد وتهديد لهم.

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ (الزمر: ١٤-١٦).

«فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ»، وهذا فيه تخويف وتهديد ووعيد.

Upload by : altawhedmag.com

والطريق الثاني: أنه أمرٌ، ومعناه الخبر.

والمعنى: أن من لم يستح صنع ما شاء: فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء، فمن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر وما يمتنع من مثله من له حياء. ومثله قوله-صلى الله عليه وسلم-: "من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار": فإن لفظه: "فليتبوأ مقعده من النار"، لفظ الأمر ومعناه الخبر؛ وان من كذب عليه-صلى الله عليه وسلم- متعمدًا يتبوأ مقعده من النار؛ أي: يتخذ مكانًا للإقامة به فيها، والعياذ بالله.

وهذا اختيار القاسم بن سلام وابن قتيبة ومحمد بن نصر المروزي.

وروى أبو داود عن الإمام أحمد ما يدل على مثل هذا القول.

ويروى عن النبي-صلى الله عليه وسلم- بإسناد ضعيف، قال: "إذا أبغض الله عبدًا نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا بغيضًا مبغضًا، فإذا نزع منه الأمانة نزع منه الرحمة، وإذا نزع منه الرحمة نزع منه ربقة الإسلام فإذا نزع منه ربقة الإسلام لم تلقه إلا شيطانًا مريدًا".

وعن سلمان قال: "إن الله إذا أراد بعبد هلاكًا نزع منه الحياء".

الحياء من الإيمان

وقد جعل النبي-صلى الله عليه وسلم- الحياء من الإيمان؛ ففي الصحيحين عن ابن عمر أن النبي-صلى الله عليه وسلم- مر على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك تستحي، كأنه يقول قد أضر بك. فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "دعه؛ فإن الحياء من الإيمان".

الحياء شعبة من الإيمان

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "الإيمان بضع وسبعون-أو بضع وستون- شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان".

ومعنى قوله: (الحياء شعبة من الإيمان): أنّ الحياء يقطع صاحبه عن المعاصي ويحجزه عنها، فصار بذلك من الإيمان.

وقيل: إنما خص النبي-صلى الله عليه وسلم- هذه الخصلة من خصال الإيمان في الحديث، دون غيرها من باقي شُعب الإيمان: لأنّ الحياء كالداعي إلى باقي الشُعب، فإنّ صاحب الحياء يخاف فضيحة الدُنيا والآخرة فيأتمر وينزجر، فلمّا كان الحياء كالسَبب لفعل باقي الشُعب؛ خُصّ بالذكر ولم يذكر غيره معه.

قال السعدي: ولعلّ ذكر الحياء: لأنه السَبب الأقوى للقيام بجميع شُعب الإيمان. فإنّ من استحيا من الله لتواتر نعمه، وسوابغ كرمه، وتجلّيه عليه بأسمائه الحسنى،-وكان مع هذا كثير التّقصير مع الرّبّ الجليل، يظلم نفسه ويجني عليها؛ أوجب له هذا الحياء التوقي من الجرائم، والقيام بالواجبات والمستحبّات.

الحياء خير كله

ففي الصحيحين عن عمران بن حصين عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وفي رواية لمسلم قال "الحياء خير كله".

والحياء نوعان: فطري.. ومكتسب

فالفطري: ما كان خلقًا وجبلّة غير مكتسب، وهو من أجلّ الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها كحياء الإنسان أن تنكشف عورته، أو أن يجامع امرأته أمام الناس. ولهذا قال-صلى الله عليه وسلم-: "الحياء لا يأتي إلا بخير"، فإنه يكفّ عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ويحثّ على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها؛ فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار.

وقد قال النبي-صلى الله عليه وسلم- لأشج عبدالقيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله"؛ فقال الرجل: خصلتان جُبلْتُ عليهما أم تخلّقْتُ بهما؟ فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "بل جُبلْتَ عليهما". فقال الرجل: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب.

النوع الثاني: ما كان مكتسبًا من معرفة الله ومعرفة عظمته، وقربه من عباده واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي

Upload by : altawhedmag.com

الصدور؛ فهذا من أعلى خصال الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان؛ فقد قال النبي-صلى الله عليه وسلم- لرجل: "استحي من الله كما تستحي من رجل من صالح عشيرتك".

وفي حديث ابن مسعود: "استحيوا من الله حق الحياء"، قالوا: إنا لنستحي. قال: "الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وأن تذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا. فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله. (خرّجه الإمام أحمد والترمذي مرفوعًا).

ويتولد الحياء من مطالعة نعم الله تعالى التي لا تُعدّ ولا تُحصى، ورؤية التقصير في شكرها ومشاهدة عيب النفس وقصورها؛ فإذا سُلب العبد الحياء الإيماني المكتسب والحياء الغريزي الفطري؛ لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح فصار كأنه لا إيمان له.

والقول الثاني في معنى قوله-صلى الله عليه وسلم-: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت":

أنه أمر بفعل ما يشاء على ظاهر أمره، وأن المعنى: إذا كان الذي تريد فعله مما لا يستحيى من فعله لا من الله ولا من الناس لكونه من أفعال الطاعات أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة؛ فاصنع منه حينئذ ما شئت.

وهذا قول جماعة من الأئمة منهم إسحاق المروزي، وحكي مثله عن الإمام أحمد، وكذلك رواه عنه الخلال في كتاب الأدب.

ومن هذا قول بعض السلف وقد سئل عن المروءة فقال: "أن لا تعمل في السر شيئًا تستحي منه في العلانية". وقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "الإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس".

وقيل: يا رسول الله، ما أفضل ما أوتي الرجل المسلم؟ قال: الخلق الحسن. قيل: فما شر ما أوتي الرجل المسلم؟ قال: إذا كرهت أن يرى عليك شيء في نادي القوم فلا تفعله إذا خلوت.

وفي صحيح ابن حبان: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ما كره منك شيء فلا تفعله إذا خلوت.

ويكفي أن الحياء من خصال النبيين؛ فموسى الكليم-عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- كان حييًا ستيرًا، ومحمد-صلى الله عليه وسلم- كان أشد حياءً من العذراء في خدرها.

وفوق ذلك كله.. فالحياء من صفات الله عز وجل.

ففي حديث أبي واقد مرفوعًا: أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه. رواه البخاري.

وعند أبي داود من حديث سلمان أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: إن ربكم تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا.

قال ابن القيم:

وهو الحييُّ فليس يفضح عبده
عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره
فهو الستير وصاحب الغفران

قال الشيخ هراس رحمه الله: "حياؤه تعالى وصفٌ يليق به، ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغيُّرٌ وانكسارٌ يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب أو يُذم، بل هو تركُ ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه، فالعبدُ يُجاهره بالمعصية مع أنه أفقرُ شيء إليه سبحانه وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكنَّ الربَّ سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيئه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر".

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

مكانة المسجد

إعداد الشيخ / إبراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله تعالى يقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: ٣٦- ٣٧). للمسجد أهميته في حياة المسلم بل في حياة المجتمع والأمة بأسرها. ففي المسجد يُتعلَّم الدين وتُغرس الفضائل، وتنمو الأخلاق. فمهمة المسجد ليست قاصرة على أداء الصلوات فقط كما يظن الكثيرون. فالمسجد مدرسة للتربية وتعليم الأخلاق، بل ينبغي أن يكون المسجد جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته وقاعدة لإدارة شئون المسلمين.

ولأهمية المسجد في حياة المجتمع المسلم كان العمل الأول الذي بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة المنورة، وشارك بنفسه في بناء المسجد يضرب بذلك المثل للقادة في عدم تمييز نفسه مع أنه النبي، ولم يكن المسجد الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم مزخرفًا كمساجدنا الآن، بل كان مفروشًا بالرمال والحصباء وسقفه من جريد النخل، وأعمدته من جذوع النخل أيضًا، فلم يكن همّ الرسول صلى الله عليه وسلم زخرفة المسجد، بل كان همّه الأول بناء الرجال داخل هذا المسجد.

في المسجد ربى الرسول صلى الله عليه وسلم رجالًا كانوا

Upload by : altawhedmag.com

بحق أعظم الرجال قادوا الأمم بعد أن كانوا رعاة غنم، ففي المسجد كان يجد الجائع طعامًا، ويجد المريض دواءً ويجد الفقير والمسكين مأوى، ومن هذا المسجد خرجت البعوث والسرايا والغزوات.

في المسجد يتعرف المسلم على إخوانه، ويتفقد أحوالهم فيعود المريض ويتبع الميت، ويحاول أن يجد حلًا لكل من له مشكلة.

وفي المسجد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم على عاتقه مهمة تربية الأمة وبناء الدولة الإسلامية من خلال توثيق علاقة الأمة بالله وعلاقة الأمة بعضها ببعض وعلاقة الأمة بغيرها من الأمم، فكان المسجد إلى جانب كونه ساحة عبادة ومدرسة العلم كان أيضًا مصباح هداية ومنارة إرشاد.

ومن إكرام الله لهذه الأمة المرحومة وتيسيرًا عليها: ترك لهم حرية اختيار أماكن المساجد فالأرض كلها مسجد وترابها طهور إلا ما استثنى الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي الحديث المتفق عليه: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي... وذكر منها: وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصَلِّ».

وقد حثَّ القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية المطهرة على إعمار المساجد وتنظيفها وتهيئتها للمصلين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

ويقول تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: ٣٦).

ويقول تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨). فالله سبحانه: أراد أن تكون المساجد خالصة له وحده فلا يُذكر فيها غير اسمه وأن لا يُنادى فيها أحد سواه، لا مَلَكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا، ولا وليًا صالحًا.

ولكن -للأسف الشديد- خالف كثير من المسلمين أمر الله سبحانه وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام فأدخلوا القبور إلى المساجد أو بنوا المساجد على القبور وشابهوا اليهود والنصارى في ذلك، مع أننا أُمرنا كمسلمين بمخالفتهم، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: لا يجتمع في الإسلام مسجد وقبر، فإن بني المسجد على القبر هُدِمَ المسجد، وإن أدخل القبر إلى المسجد نبش القبر، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن بناء المساجد على القبور ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وزاد مسلم: «والنصارى». وفي الصحيحين أيضًا: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وهذا يدل على تحريم اتخاذ المساجد على القبور، وأن هذا من عمل اليهود والنصارى حيث غالوا في أنبيائهم وصالحيهم حتى عبدوهم من دون الله.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها في أرض الحبشة، وما فيه من الصور، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله». فقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن الذين يبنون المساجد على

Upload by : altawhedmag.com

القبور هم شرار الخلق لأن البناء على القبور من وسائل عبادة المقبورين من دون الله واذا كان اليهود والنصارى قد اشتهروا بذلك فقد تبعهم ضُلّال هذه الأمة وجُهّالها في هذه البدعة وهذا الشرك. وهذا مصداق قول النبي عليه الصلاة والسلام: «لتتبعن سنن من كان من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» (منفق عليه).

وعلى الرغم من هذا النهي الشديد والوعيد الأكيد فقد تابع كثير من الجهال والضلال سنن اليهود والنصارى في بناء المساجد على القبور، كما هو ظاهر في كثير من البلدان التي تنتسب إلى الإسلام، فأقاموا المساجد على القبور وعظّموا أهلها ودعوهم من دون الله، وشدّوا إلى قبورهم الرحال وأقاموا الموالد عندها وذبحوا للموتى، ونذروا لهم، وسألوهم إجابة الدعوات وكشف الكربات وقضاء الحاجات، وكل ذلك من صور الشرك التي نهى عنها الإسلام.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تجصيص القبور والبناء عليها، والقعود عليها سدًّا لذرائع الشرك. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء الفاعلين هم شرار الخلق لأنهم جروا الناس إلى الشرك ودعوهم إليه بأفعالهم وتصرفاتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد أمرنا الله سبحانه أن نقيم وجوهنا عند كل مسجد، وذلك بإخلاص العبادة له وطاعته فيما أمر فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩).

كما أمرنا سبحانه أن نأخذ زينتنا كاملة عند ذهابنا إلى المساجد، وأن نكون في أكمل حال من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتنا ونظافة وطهارة فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله؛ كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة».

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» صحيح مسلم.

فهنيئًا لرواد المساجد وعمارها هذا الخير الوفير والجزاء العميم الذي أعده الله لهم من حط الخطايا ورفع الدرجات ونزول السكينة وغشيان الرحمة وأعظم ما وعد الله به عباده هو ذكرهم فيمن عنده سبحانه وتعالى.

نسأل الله أن يجعلنا ممن تعلقت قلوبهم بالمساجد، وأن يظلنا الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. وصلى الله على نبينا محمد وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

Upload by : altawhedmag.com

أحبّ عباد الله إلى الله تعالى

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع
فرع أخاوي

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم التناد.

وبعدُ: فإن الخُلق الحسن عنوان فلاح المرء وسعادته في الدنيا والآخرة، وما استُجلبت الخيرات وتنزلت الرحمات والبركات، ورفع الله ذكر العباد، ووعدهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ببيت في أعلى الجنان: بمثل الخُلق الفاضل، والدين كله خُلق، فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في الدين.

والأخلاق الحميدة مواهب يهب الله منها ما يشاء لمن يشاء. فاصطفى لها خير البرية، بالصفات الزكية لينهض بالأمة لتكون خير الأمم علمًا وصلاحًا واصلاحًا، ولن تكون كذلك إلا بالقدوة الحسنة. فامتنَّ الله على البشرية ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم فكانت الغاية من بعثته والمنهاج المبين في دعواته، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (الصحيحة: ٤٥).

وفي رواية: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق» (صحيح الجامع: ٢٣٤٩).

ومما يدلّ على أن للأخلاق الحسنة مكانة عظيمة: أن المؤمنين يتفاضلون في الايمان وأن أفضلهم فيه أحسنهم خلقًا. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من الأنصار فسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خُلقًا». (ابن ماجه: ٢/١٤٢٣).

ومن ذلك أن المؤمنين يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب منه يوم القيامة. وأكثرهم ظفرًا بحُبه والقرب منه صلى الله عليه وسلم الذين حسنت

Upload by : altawhedmag.com

أخلاقهم: قال صلى الله عليه وسلم: «إنَ من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا» (صحيح الجامع: ٢٢٠١).

لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرغب في مكارم الأخلاق ويحث عليها ويبين لهم فضلها، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسن الخلق عنوان كمال الإيمان: فقال صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا» (صحيح الترمذي: ١١٦٢).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حسن الخلق يُثقّل الميزان يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخلق» (صحيح الترمذي: ٢٠٠٢).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حسن الخلق من موجبات الجنة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» (صحيح الترمذي: ٢٠٠٤).

قال ابن القيم رحمه الله: جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق: لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وربه، وحُسن الخلق يُصلح ما بين العبد وبين الناس، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسن الخلق يُبلّغ صاحبه درجة الصائم القائم: قال صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (صحيح أبي داود: ٤٧٩٨). وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليُدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الظامئ بالهواجر» (صحيح الترغيب: ٢٦٤٤): درجة الصائم القائم: أي: صائم النهار قائم الليل في الطاعة.

وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة (عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١٣/ ١٥٤).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسن الخلق يرفع صاحبه أعلى درجات الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسّن خلقه» (صحيح أبي داود: ٤٨٠٠).

ومعنى زعيم: ضامن. قال الخطابي: البيت هاهنا القصر. يقال: هذا بيت فلان أي: قصره.

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حسن الخلق خير ما تجمل به الإنسان: فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلها» (صحيح الجامع ٤٠٤٨).

وأخبر صلى الله عليه وسلم: «أن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا». عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت في مجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم وسمرة وأبو أمامة، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا» (صحيح الترغيب ٢٦٥٣).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن خيار الناس أحاسنهم أخلاقًا: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بخياركم؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أخلاقًا» (صحيح الترغيب ٢٦٥١).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا. عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رءوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم: إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب

Upload by : altawhedmag.com

عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم خلقًا» (صحيح الترغيب: ٢٦٥٢).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن خير ما أعطي الإنسان حُسن الخلق. عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: «حسن الخلق» (البخاري في الأدب المفرد ٢٩١).

ومما لا شك فيه أن حسن الخلق منّة من الله يمُنّ به على من يشاء من عباده؛ قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» (آل عمران: ١٥٩).

قال السعدي رحمه الله: (أي برحمة الله لك ولأصحابك منّ الله عليك فألنت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك، وترفقت لهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك. (ولو كنت فظًا) أي سيئ الخلق (غليظ القلب) أي: قاسيه (لانفضوا من حولك)؛ لأن هذا يُنفرهم ويبغضهم لمن قام بهذا الخلق السيئ).

فالأخلاق الحسنة تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخالص. والأخلاق السيئة تُنفر الناس عن الدين وتبغضه إليهم، مع ما لصاحبه من الذم، والعقاب الخالص. اهـ (تفسير السعدي (١/٤٤٤)).

ولحسن الخلق تأثير هائل في الدعوة إلى الله، وله عظيم الأثر في نفوس المدعوين، فإذا كان للشخص رصيد طيب من حُسن الخُلق كانت دعوته أنفع وأنجح وأولى بالقبول عند الناس، ومن ثم آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا من هذا الرصيد في بداية بعثته، ألا وهو صدقه في الحديث صلى الله عليه وسلم فقال للمشركين: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا (البخاري: ٤٨٠١، ومسلم: ٢٠٨).

لذا وصّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الأمة بالحلال والحرام العالم الفقيه معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (صحيح الجامع: ٩٧).

فخيار المسلمين من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم، أما من ساءت منهم الأخلاق وقبحت الصفات فأولئك مع الأشرار، وإن كانوا يصلّون ويصومون ويحجّون، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين، وصيامهم مجاراة، وحجهم رياء، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مراء مكارم الأخلاق، فإن الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام الخالص داعية الصبر والكرم، والحج المبرور يثمر خلق الصبر، وحسن العشرة والمعونة، فبرهان الصدق في العبادات والإخلاص فيها كرم الأخلاق، وآية التقصير فيها سوءها (الأدب النبوي ١٦٠).

فحسن الخلق عنوان قبول الأعمال، وسوء الخلق يحبط الأعمال، قال صلى الله عليه وسلم: «وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل» (صحيح الجامع: ١٧٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في النار»، قال: يا رسول الله، فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة» (صحيح الترغيب ٢٥٦٠).

ومعنى (الأثوار) جمع ثور وهي القطعة من الأقط. ومعنى (الأقط): شيء يُتخذ من مخيض اللبن الغنمي.

فديننا الحنيف لا ينظم علاقة الإنسان بخالقه فقط، وإنما ينظم علاقة الإنسان بخالقه والناس أجمعين مؤمنين وكافرين، ويدعو

Upload by : altawhedmag.com

الدين إلى أن يكون الإحسان هو أصل علاقة الإنسان بربه والناس أجمعين. قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

فما أحوجنا جميعًا أن نُعيد النظر في أنفسنا أين نحن من مكارم الأخلاق؟ أين نحن من التأسي بنبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان خُلقه القرآن. قال الحسن البصري رحمه الله: "إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفًا وقد- والله- أسقطه كله ما يرى القرآن له في خلق ولا عمل" (الزهد: ص٢٧٦).

ما أحوجنا أن يُرى أثر القرآن في مكارم أخلاقنا مع الصغير والكبير، والقريب والبعيد.

إن نهوض الأمة وصلاح المجتمع إنما يتحقق بالتخلي عن رذائل الأخلاق، والتحلي بفضائلها، وإن علاج أمراضنا الاجتماعية يتطلب إصلاحًا أخلاقيًا يكفل الانسجام والائتلاف بين طبقات الأمة، ويوجه النفوس إلى الخير المفطور فيها، ويخلص القلوب من أدران الحقد والأنانية. فجاهد نفسك -أخي- لاكتساب الأخلاق الفاضلة فإنه من يريد معالي الأمور لا بد له من أن يدفع ثمنها المناسب، ويسعى في تحصيلها، ومن ذلك استعراض ما في القرآن الكريم، فما وجدت فيه من أوامر وتوجيهات فخذ به، وما وجدت فيه من نواهٍ فابتعد عنه؛ لذا لما سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت للسائل: (ألست تقرأ القرآن؟) قال: بلى، قالت: (فإن خُلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن) (صحيح مسلم).

والمعنى: فما حث القرآن الكريم على اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة إلا وتخلَّق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، واقرأ سيرة خير البرية فقد بلغ ذروة المثالية في كل أحوال البشرية، وكن مع الناس كالنحل، الذي يقع على أحسن الزهور وأطهر الزروع فيجتني منها ما يفيده، وما يخدم به الناس. ومشكورًا غير مأمورًا ضع هذه الوصية النبوية بين نصب عينك لتسعد إن عملت بها بخيري الدنيا والآخرة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ولْيأت إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه».

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

تصويب وتصحيح

في العدد الماضي (ربيع أول صـ ٥٨) تم نشر تهنئة بالماجستير للدكتور إيهاب مرسي عبد المجيد بيان سكرتير فرع كمشيش منوفية، والتصحيح أنها تهنئة بحصوله على درجة الدكتوراه من كلية التربية جامعة المنوفية.

وهذا استدراك وتصويب، مع تمنياتنا لفضيلته بدوام التوفيق والسداد.

Upload by : altawhedmag.com

من نور كتاب الله

الصبر في الدعوة إلى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧).

من هدي النبي ﷺ

بيان السبيل إلى الجنة

عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النعمان بن قوقل إلى النبيَ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال أأدخل الجنة؟ فقال النبيَ صلى الله عليه وسلم: «نعم» (صحيح مسلم)

واحة التوحيد

النهي عن الغلو في حب آل البيت

لما حضرت الوفاة الشاعر الرافضي "كُثيِّر عزَّة"، دعا ابنة أخ له فقال: يا ابنة أخي، إن عمك كان يحب هذا الرجل فأحبيه -يعني عليَ بن أبي طالب رضي الله عنه-. فقالت: نصيحتك يا عمِّ مردودة عليك، أحببه والله خلاف الحب الذي أحببته أنت. (العقد الفريد)

حكم ومواعظ

قال بلال بن سعد -رحمه الله-: «لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت».

(سير أعلام النبلاء)

من معاني الأحاديث

التحريم في حديث الصلاة «تحريمها التكبير» كأن المصلي بالتكبير والدخول في الصلاة صار ممنوعًا من الكلام والأفعال الخارجة عن كلام الصلاة وأفعالها، فقيل للتكبير: تحريم: لمنعه المصلي من ذلك، ولهذا سُميت تكبيرة الإحرام: أي الإحرام بالصلاة. (النهاية لابن الأثير)

من أقوال السلف

في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، قال قتادة: هذا عبد صدق قوله، وعمله، ومولجه، ومخرجه، وسره، وعلانيته، ومشهده، ومغيبه.

Upload by : altawhedmag.com

الورع الكاذب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المتنطعين والمغالين في الدين: "يتورع عن الركون إلى الظلمة من أجل البدع في الدين وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أمورًا واجبة عليه؛ إما عينًا وإما كفاية، وقد تعيَّنت عليه من صلة رحم، وحق جار ومسكين، وصاحب ويتيم وابن سبيل...."

(مجموع الفتاوى)

إعداد/د. علاء خضر

من دلائل النبوة

إخباره ببعض من يموت شهيدًا من أصحابه

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اهدأ، فما عليك إلا نبيّ، أو صديق، أو شهيد" (رواه مسلم)

أحاديث مشهورة لكنها باطلة

"للمرأة ستران: القبر والزوج. قيل: وأيهما أفضل؟ قال: القبر". موضوع أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير وفي الصغير، وابن عدي في الكامل.

(السلسلة الضعيفة للألباني)

فائدة لغوية

"إنَّ الله لا يُحبُّ كلَّ مُختالٍ فخورٍ" الفرق بين المختال والفخور: المختال: ينظر إلى نفسه بعين الافتخار. والفخور: ينظر إلى الناس بعين الاحتقار.

من تفسير السلف

سئل حذيفة -رضي الله عنه- عن قول الله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» هل عبدوهم؟ فقال: لا، ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرَّموا عليهم الحلال فحرَّموه.

(تفسير القرطبي)

من دعاء النبي ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوَّذ من جهد البلاء، ودرك الشَّقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء. (صحيح البخاري)

Upload by : altawhedmag.com

أَمِنَ الإيمانِ حُبُّ الأَوْطانِ؟!

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الغلو في كل شيء مذموم: الغلو في الحب مذموم، وفي الكره مذموم، ومن لطيف ما صنعه إمام المحدثين الإمام البخاري أنه ختم كتابه الأدب المفرد بهذا الأثر، قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلَفًا وَلَا بُغْضُكَ تَلَفًا". فقلت (زيد بن أسلم) كَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: "إِذَا أَحْبَبْتَ كَلِفْتَ كَلَفَ الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف" (الأدب المفرد: ١٣٢٢).

ومن هذا الباب ما يُروَّج له في المقالات، وعلى المنابر، وعلى كل وسائل التواصل؛ من دعوة حبّ الوطن على منهج القوميين والحداثيين، وهي دعوة زائفة؛ لأنها تعتمد على حبّ الوطن من مفهومهم وعلى طريقتهم القاصرة؛ على وطن حدّده عدوّ غاصب أو محتلّ غادر، وأو كاره للإسلام معاند؛ لأن قضية الأوطان لها في الإسلام مدلولات واسعة وقيود واضحة.

ومن نتائج هذه الدعوة: أن تفرّقت كلمة المسلمين ولم يجتمعوا على شيء تجاه عدوهم، واكتفت كل أمة بما لديها من مُقدّرات حياتها، ووسائل نجاتها، ولو وقع اعتداء على دولة مجاورة تربطها بها صلة وأنساب وتاريخ وحضارات لم تَهُبّ لنَجْدتها، والسبب هو خط وهمي، وضعه معتدٍ آمَن به كل غبي.

فقضية الانتماء للوطن كثير من الناس فيها على طرفين: غالٍ ومُفرِّط، والإسلام هو دين الوسطية في كل شيء: نهى عن الغلو في حب الأوطان وأمر بالعمل والاقتصاد في محبته، ففريق من الناس عقد ولاءه وبراءه على حب الوطن والعمل له، وآخرون باعوا أوطانهم لعدوهم وخانوا بلادهم وأفسدوا في الأرض بالتخريب والإرهاب في البلاد وبين العباد.

ومنهج الإسلام فيه الاعتدال في كل الأحكام، فالأصل أن

Upload by : altawhedmag.com

يكون محل الحب والبغض لله والولاء والبراء له وحده، وهذا لا ينفي ميل الإنسان للمكان الذي نشأ فيه وسجد لله فيه وتعرف على الله بآياته وخلقه فيه، فهذا حُبّ غريزي فطري لا يُلام الإنسان عليه، ولم يمنع الإسلام منه.

أما الدعوة للمواطنة والوطنية التي يُروّج لها، فالوطنية في حقيقتها دعوة برّاقة، وخدعة كبيرة تستثير في النفوس عاطفة حبّ الوطن في البدايات الأولى، وفي نهايتها يُراد بها الانسلاخ من رابطة الدين، والاكتفاء بها في كل وطن له حدود جغرافية، وموالاة أهله على حبه بغضّ النظر عن أي اعتبار.

وهي نسبة إلى الوطن، أي: الأرض التي يعيش عليها مجموعة من الناس، وقد ظهرت بعد ظهور القومية كرافد من روافد القومية، يقصد بها أن يقدّس كل إنسان وطنه فقط، وأن يتعصّب له بالحق والباطل، وهي بهذا المفهوم لا يقبلها الإسلام ولا يقرُّها.

ومن هنا نجد أن القومية والوطنية يمدّ بعضها بعضًا؛ لتكونا معًا رافدًا من روافد الجاهلية، والنفرة عن الدين، والالتقاء على حب الوطن، بغضّ النظر عن اختلاف ديانة الموجودين عليها، فالوطنية أمُّ الجميع؛ لأن الوطنية توجب أن يتعايش المسلم والنصراني واليهودي والمجوسي وغيرهم على حدٍّ سواء.

كما قال شاعرهم:

بلادي هواها في لساني وفي دمي
يمجّدها قلبي ويدعو لها فمي

وقوله:

بلادك قدسها على كل ملة
ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

وقول الآخر:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة
وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرام

حب الوطن في الإسلام

ورد في الباب حديث صريح في المسألة، لكنه لا يصح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بلفظ: "حب الوطن من الإيمان" قال الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٣٦): موضوع. كما قال الصغاني (ص ٧) وغيره.

ومعناه غير مستقيم؛ إذ إن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه، كل ذلك غريزي في الإنسان لا يُمدَح بحبه ولا هو من لوازم الإيمان، ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون في هذا الحب لا فرق في ذلك بين مؤمنهم وكافرهم؟!

وقال العجلوني في كشف الخفاء: الأظهر في معنى الحديث إن صح مبناه أن يحمل على أن المراد بالوطن الجنة، فإنها المسكن الأول لأبينا آدم على خلاف فيه أنه خلق فيها أو أدخل بعدما تكمل وأتم، أو المراد به مكة فإنها أم القرى وقبلة العالم، أو الرجوع إلى الله تعالى على طريقة الصوفية، فإنه المبدأ والمعاد كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢)، أو المراد به الوطن المتعارف ولكن بشرط أن يكون سبب حبه صلة أرحامه، أو إحسانه إلى أهل بلده من فقرائه وأيتامه، ثم التحقيق أنه لا يلزم من كون الشيء علامة له اختصاصه به مطلقًا، بل يكفي غالبًا، ألا ترى إلى حديث: "حسن العهد من الإيمان"، و"حبّ العرب من الإيمان"، مع أنهما يوجدان في أهل الكفران.

ومحبة الوطن طبيعة طبع الله النفوس عليها ولا يخرج الإنسان من وطنه إلا إذا اضطرته أمور للخروج منه؛ مثل خروج إبراهيم ولوط عليها السلام؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾

Upload by : altawhedmag.com

﴿٧١﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٦٨- ٧١).

أو مثل خروج موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٢٠- ٢١).

أو مثل خروج يعقوب عليه السلام وأولاده من فلسطين إلى مصر للانضمام إلى يوسف عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٩).

ولما كان الخروج من الوطن قاسيًا على النفس صعبًا عليها؛ فقد كان فضائل المهاجرين من الصحابة أنهم ضحوا بأوطانهم في سبيل الله؛ فللمهاجرين على الأنصار أفضلية تَرْك الوطن؛ مما يدل على أن ترك الوطن ليس بالأمر السهل على النفس، وقد مدحهم الله سبحانه على ذلك فقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحشر: ٨).

موقف الإسلام من حب الوطن

الإسلام وإن كان لا يمنع حُبَّ الشخص لوطنه، لكنه يوجب ملاحظة أمور لا بُدَّ أن تكون في حسبان المسلم، وأن يلاحظها بدقة فلا يوالي ويعادي من أجل الوطن، بل يجعل الولاء أولًا لله تعالى؛ عليه يوالي وعليه يعادي، فلا يقدّم محبة الوطن أو أهل الوطن على محبة الله تعالى ومحبة من يحبه عز وجل، كذلك يجب أن لا يكون حب الوطن ينشأ عن عصبية جاهلية أو على طريقة الجاهلين: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، بمعنى الوقوف إلى جانبه سواء كان على حق أو على باطل بحجّة أنه أخاه في الوطن، بل عليه أن يراعي الأخوة الإسلامية قبل أخوة الوطن، فإن أخوة العقيدة أثبت وأنفع من أخوة الوطن على طريقة خاطئة.

وكل محبة في الله تبقى
على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما عداه
فكالحلفاء في لهب الحريق

والمسلمون ما ضعفوا وما استكانوا إلا يوم قدّموا الوطنية، وافتخر كل أهل وطن بوطنهم، ولم يهتم بعضهم بالبعض الآخر، فكان الجميع لُقْمَةً سائغة لأعدائهم، فانفردوا بإذلال أهل كل وطن كما هو الوضع الآن، وانتشرت مع الأسف دعوات جاهلية صار يردّدها الكبير والصغير والمرأة والرجل، وهو شعار التضحية في سبيل الوطن، أو بذل الدم من أجل تراب الوطن، ونحو ذلك من الكلمات التي أثمرت التخاذل حتّى عن الدفاع الجادّ عن أوطان المسلمين وأعراضهم نصرة المظلومين وارجاع الحق لأهله.

إن دعاة الوطنية لم يقفوا بها عند حدٍّ فقد قدّسوا الوطنية إلى حدّ العبادة من دون الله تعالى، وأحلوها محل الدين، وصاروا لا يدعون إلّا إلى تقديسها، ونسيان كل أهل وطن ممّن عداهم من أوطان المسلمين الأخرى، ونشأ عن تلك الدعوات الفخر والخيلاء والاستكبار بغير الحق والتعالي والغطرسة الكاذبة، بل وركن أهل كل وطن على قومهم في وطنهم في كل شيء حتى في الانتصار على الأعداء، فقد نسوا أن النصر من عند الله تعالى، فصاروا يمتدحون بأن الوطن سيمنحهم الشجاعة والنصر

Upload by : altawhedmag.com

والعيش الكريم، وأنَّ وطن كل طائفة سيصبح مقبرة للغزاة والطامعين، ولكنها جعجعة ولا ترى طحنًا وعنترة جوفاء فضحتها الوقائع القاتمة.

وقد بلغ من تقديس الأوطان عند دعاة الوطنية الجاهلية أن يطلبوا إلى كل شخص أن يقدّس وطنه على كل الملل والأديان، وأن يضحي بكل ما لديه لوطنه.

وإذا وصل الإنسان في حب وطنه إلى هذا الحد فماذا سيبقى لحب الله؟! فالأوطان أصبحت وكأنها أوثان تُعبَد من دون الله تعالى، وكل صاحب وطن يدَّعي أن وطنه هو أفضل الأوطان، وتربته أفضل تربة، وأنه وطن معطاء يكفي من تمسك بحبّه كل مكروه، ويفتخر برجاله وبعطائهم اللامحدود -هكذا-. في المقابل لا بُدَّ أن يحتقر البلدان الأخرى وجهود الرجال الآخرين من بلدان المسلمين ورجالاته.

فلا حرج في دين الوطنية أن يفتخر الشخص برجال وطنه، ويقدم حبهم على من سواهم، حتى وإن كان أولئك غير مسلمين. فالوطنية دين الجميع. ومعلوم أن هذه المبالغة لا يقرّها الإسلام الذي يدعو أتباعه إلى أن ينصهروا كلهم في بوتقة الإسلام، ويدعو أتباعه لأنْ يكونوا في هذه الأرض كأنَّهم جسم واحد وفي وطن واحد، ويوجب على كل مسلم أن يدافع عن كل شبر من أوطان المسلمين، وأن يغار عليها حتَّى لو أدَّى ذلك إلى قتله، فإنه يكون شهيدًا مقاتلًا في سبيل الله تعالى.

ولهذا من عاش في وطن لا يستطيع أن يعبد فيه ربه ولا يقيم دينه فقد وجب عليه تركه والسفر إلى وطن آخر يلم فيه شعثه، ويتعبد فيه لربه، وهذا حكم ثابت من أحكام الإسلام، وقد أمر الله تعالى عباده بالهجرة من وطن الكفر إلى دار الإيمان؛ تحقيقًا للطاعة ودفعًا للعذاب؛ فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: ٩٧- ٩٩).

قال السعدي: وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعًا وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٦)؛ قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧)، وهذا كما تقدم، فيه ذكر بيان السبب الموجب، فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع شروطه وانتفاء موانعه، وقد يمنع من ذلك مانع. وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر.

وهذا المقال جزء من بحث لي كبير لم يُطبَع، يسر الله طباعته.

اللهم احفظ بلاد المسلمين واصرف عنهم كيد الكائدين واجمع كلمتهم على كلمة التوحيد. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

قصة استئذان ملك الموت على النبي ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والطرقية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد: الشيخ/ علي حشيش

أولًا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية، كما سنبين من التخريج، وحتى يقف القارئ الكريم على مصطلح كتب السنة الأصلية: فكتب السنة الأصلية هي الكتب الستة التي جمعها مصنّفوها عن طريق تلقّيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم مثل الصحيحين والسنن الأربعة وموطأ مالك ومسند أحمد وغيره من المسانيد، وكذلك المعاجم مثل معجم الطبراني الكبير والأوسط والصغير، وغير ذلك مما يحقق هذا المصطلح.

ووجود مثل هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية يجعل مَن لا دراية له بالتحقيق يتوهم أن هذه القصة صحيحة، ولكن كما سنبين من التحقيق أنها

Upload by : altawhedmag.com

قصة واهية موضوعة.

٢- من هذه الافتراءات التي جاءت في هذه القصة اشتمال هذه القصة على مجازفات لا يقول مثلها النبي صلى الله عليه وسلم، كما سنبين من التخريج والتحقيق.

ثانيا: متن القصة:

روى عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن قال: لمَّا كانَ قبل وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بثلاث، هبطَ إليه جبريل عليه السلام، فقال: يا رسول الله إن الله أرسلني إليك إكرامًا لَكَ وتفضيلًا لك، وخاصَّةً لك، يَسألكَ عَمَّا هُوَ أعلمُ به منْكَ، يقول: كيف تَجدُكَ؟ قال: «أجدُني يا جبْريلُ مَغْمُومًا، وأجدُني يا جبريلُ مَكْرُوبًا» فلمَّا كانَ اليَوْمُ الثَّاني، هَبطَ إليه جبريلُ عليه السلام، فقال له مثل ذلك، فقال له النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «أجدُني يا جبْريلُ مَغْمُومًا، وأجدني يا جبْريلُ مَكْروبًا» فلمَّا كانَ اليومُ الثَّالثُ، هبطَ إليه جبْريلُ مَعَهُ مَلَكُ الموت، ومعهما مَلَكٌ في الهَواءِ يقال له: إسماعيل، على سَبْعين ألف مَلَك، كل مَلَك منهم على سبعين ألف مَلك فسبقهم إليه جبريل، فقال: يا أحمد، إنَّ الله أرسلني إليك إكرامًا لك وتَفْضيلًا لك، وخاصَّةً لك، يَسْألُكَ عَمَّا هُو أعلمُ به منك، يقول: كيف تجدُك؟ قال: «أجدُني يا جبريلُ مَغْمُومًا، وأجدني يا جبريلُ مَكْروبًا» قال: واسْتَأذَنَ مَلَكُ الموت علي الباب، فقال جبريل: يا أحمد؟ هذا مَلَكُ الموت يَسْتأذنُ عَلَيْكَ ولم يَسْتَأذنْ على آدميٍّ قبلك، ولا يستأذن علي آدمي بعدك، فقال: «ائْذَنْ له يا جبريل» فقال: عَليكَ السَّلامُ يا أحمد، إنَّ الله أرْسَلَني إليك، وأمرني أن أُطيعَكَ فيما أمَرْتني، إن أمَرْتَني أن أقْبِضَ نَفْسَكَ قَبَضْتُها، وإن أمَرْتَني أن أتْرُكَها تَرَكْتُها؟ قال: «أتفعل ذلكَ يا ملك الموت»؟ قال: نعم بذلكَ أُمِرْتُ، قال جبريل: يا أحمد! إنَّ الله قد اشْتَاقَ إلى لقائكَ، قال: «يا مَلَكَ الموت، امض لما أُمِرْتَ به» قال: فأتاهُم آتٍ يَسْمَعُون حسَّهُ ولا يَرَوْنَ شَخْصَهُ، فقال: السَّلامُ عليكم يا أهْلَ البيت ورحمةُ الله وبركاتُه، إن في الله خَلَفًا من كل هَالك، وعَزَاءً من كُلِّ مُصيبَة، ودَرَكًا من كلِّ فَائت، فَبالله فَثِقُوا، وإيَّاهُ فَارْجُوا، فإنَّ المُصابَ من حُرِمَ الثَّوابَ. والسلام عليكم ورحمة الله.

ثالثا: التخريج:

١- هذه القصة أخرجها الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، في كتابه: «المعجم الكبير» (١٢٨/٣) ح(٢٨٩٠)، قال: حدثنا: إسحاق بن محمد العراقي المكي، والعباس بن حمدان الحنفي الأصبهاني قالا: حدثنا عبدالجبار بن العلاء، حدثنا عبدالله بن ميمون القداح، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين قال: سمعت أبي يقول: «لما كان قبل وفاة رسول الله بثلاثة أيام...» الحديث.

٢- وأخرجه الإمام الحافظ الطبراني في كتابه «الدعاء» (ح ١٢١٨)، الباب (١٩٠)، بنفس السند.

Upload by : altawhedmag.com

رابعًا: التحقيق:

١- علة هذه الحديث الذي جاءت به هذه القصة هو عبدالله بن ميمون القداح، قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين قال سمعت أبي يقول: «القصة...».

٢- قال الإمام الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٠/٥٧٥/٣٥٨٦) عبدالله بن ميمون بن داود القداح المخزومي المكي روى عن جعفر بن محمد بن علي، وآخرين. وروى عنه عبدالجبار بن العلاء بن العطار وآخرون. اهـ.

٣- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١١/٥٨١): «فإن جعفرًا قد كذب عليه ما لم يكذب على أحد، لأنه كان فيه من العلم والدين ما يُميّزه الله به، وكان هو وأبوه أبو جعفر وجده -علي بن الحسين- من أعيان الأئمة علمًا وديناً، ولم يجئ بعد جعفر مثله في أهل البيت، فصار كثير من أهل الزندقة والبدع ينسب مقالته إليه...». اهـ.

٤- ومن المناكير التي نسبها عبدالله بن ميمون القداح إلى الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، هذه القصة الواهية المنكرة؛ حيث قال الإمام ابن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل» (٢/٢/١٧٢) «عبد الله بن ميمون القداح روى عن جعفر بن محمد سمعت أبي يقول: هو منكر الحديث».

وقال ابن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عنه فقال: «هو واهي الحديث». اهـ.

٥- قال الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (٣/١/٢٠٦): «عبدالله بن ميمون القداح: ذاهب الحديث، عن جعفر بن محمد».

٦- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤/١٨٧)؛ (٣٥/١٠٠٢): سمعت ابن حماد يقول قال البخاري عبدالله بن ميمون القداح عن جعفر بن محمد ذاهب الحديث.

وقال ابن عدي في ختام ترجمته بعد أن ذكر عدة أحاديث يرويها عبدالله بن ميمون ثم قال: ولعبد الله بن ميمون غير ما ذكرت عن جعفر وعن غيره وعامة ما يرويه لا يتابع عليه.

٧- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٥١٢/٤٦٤٢): «عبد الله بن ميمون القداح عن جعفر بن محمد قال أبو حاتم: متروك، وقال البخاري: ذاهب الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز أن يُحتجّ بما انفرد به، وقال أبو زرعة: واهي الحديث». اهـ.

٨- قال الإمام الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٦/٤٠٤): بعد أن أقر ما ذكرناه آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل، في عبدالله بن ميمون القداح قال: قال الترمذي: «منكر الحديث». وقال الحاكم: «روى عن عبيد الله بن عمر أحاديث موضوعة». وقال أبو نعيم الأصبهاني: «روى المناكير».

ومن أقوال أئمة الجرح والتعديل يتبين أن القصة واهية منكرة موضوعة.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

Upload by : altawhedmag.com

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد: الشيخ/ علي حشيش

«أبو بكر مني وأنا منه، وأبو بكر أخي في الدنيا والآخرة».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٣) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال: «فر عن عائشة».

قلت: قول الإمام السيوطي: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي، وهذا تخريج بغير تحقيق يتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثة أن الحديث صحيح وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث موضوع.

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على حد «الحديث الموضوع»: لا بد من بيان معناه الاصطلاحي. الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أيّ معنًى كان: سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه. كذا في «تدريب الراوي» (١/٢٧٤) النوع (٢١) للإمام السيوطي.

وكذلك الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو «الموضوع» كذا في «شرح النخبة» (ص٤٠) للحافظ ابن حجر.

وسنطبق هذا المصطلح على الحديث من خلال التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم دراسة لعلم المصطلح التطبيقي.

التخريج:

الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٤٣- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا والدي، حدثني حمد بن نصر بن مزيد، حدثنا أبو طاهر بن سلمة، حدثنا أحمد بن محمد بن حمزة الاستراباذي، حدثني أبي، حدثنا عبدالله بن محمد القطان، حدثنا عبدالرحمن بن عمرو بن جبلة، حدثنا عباسة المجاشعية: سمعت أم حبيبة الرقاشية تحدث عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر مني وأنا منه... الحديث.

التحقيق:

الحديث لا يصح: وعلته عبدالرحمن بن عمرو بن جبلة:

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/٢/٢٦٧): «سألت أبي عن عبدالرحمن بن عمرو بن جبلة فقال: كتبت عنه بالبصرة، وكان يكذب فضربت عن حديثه». اهـ.

٢- وأقر ذلك الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٥٨٠/٤٩٢٨) ثم قال: قال الدارقطني: «متروك يضع الحديث». اهـ.

الاستنتاج:

نستنتج من قول الإمام ابن أبي حاتم والإمام الدارقطني أن عبدالرحمن بن عمرو بن جبلة يكذب، ومتروك يضع الحديث؛ إذًا فالحديث «موضوع».

Upload by : altawhedmag.com

الربا وفساد المعاملات

إعداد
د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله العزيز الغفار والصلاة والسلام على سيد الأنام ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد...

فمما لا يخفى على ذي بصيرة أن المعاملات التي تشتمل على الربا قد فشت، وكثر المنافحون عنها لأسباب شتى، ولا خلاف في أن الربا محرم وهذا مما لا يجرؤ أحدٌ على إنكاره؛ وإلا لمرق من دائرة الإسلام لإنكاره ما علمت حرمته من الدين بالضرورة، ذلك أن الربا محرمٌ بالقرآن والسنة والإجماع؛ وإنما الاختلاف هو في بيان هل تندرج هذه المعاملة بعينها في إطار الربا المحرم شرعًا لا؟، وإن أنسأ المولى سبحانه في الأجل وقدر لنا، فسنعرض لصور شتى من المعاملات لبيان هل هذه من صور الربا المحرم أم لا.

ولكن لا يجمل أن نعرج على ذلك بغير أن نؤصل لذلك ببعض الأصول والقواعد التي سنرجع إليها دومًا فنذكرها في هذا المقال وما يليه لحيل إليها فتكون مغنية لنا عن التكرار. فنقول والله المستعان وهو وحده من وراء القصد:

أسباب فساد المعاملات أربعة:

الأصل في المعاملات الإباحة فلا يحرم منها شيء إلا ما ورد الدليل الصحيح على تحريمه لاشتماله على محظورات شرعية. ويلزم لصحة المعاملات - في الفقه الإسلامي- أن تخلو من الأسباب التي تؤدي إلى فساد

Upload by : altawhedmag.com

المعاملات.

ويمكن إجمال أسباب الفساد العامة في المعاملات في أربعة أسباب : أحدها : تحريم عين المبيع، والثاني: الربا، والثالث: الغرر، والرابع: القمار.

فالسبب الأول وهو بيع الأعيان المحرمة مثل بيع الميتة والخمر والخنزير والكلب والتماثيل، وغير ذلك مما ورد النهي عن بيعه.

والسبب الثاني فهو الربا والذي اتفق العلماء على أنه يوجد في البيع كما يوجد فيما تقرر في الذمة كالسلف والقرض وغير ذلك.

وأما السبب الثالث فهو الغرر وهو يوجد في المبيع من جهة الجهل على أوجه: إما من جهة الجهل بتعيين المعقود عليه، أو تعيين العقد، أو من جهة الجهل بوصف الثمن ؛أوالمثمون المبيع، أو بقدره أو بأجله إن كان هنالك أجل، وقد يكون الجهل من جهة الجهل بوجوده، أو تعذر التسليم.وأما السبب الرابع فهو الميسر أو القمار.

الربا في الجاهلية كان ربا الديون:

وفيما يتعلق بالربا: فقد كان ربا الجاهلية يجري في القرض والدين، فقد روى الطبري عن مجاهد أنه قال في الربا الذي نهى المولى سبحانه وتعالى عنه : "كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عني، فيؤخر عنه"، كما روى الطبري صورة أخرى لجريان الربا عن قتادة أن ربا الجاهلية هو أن يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى: فإذا حلّ الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاءٌ، زاده وأخر عنه (جامع البيان في تأويل القرآن ج٦ ، ص ٨ ، تفسير الآية ٢٧٥ من سورة البقرة).

ورغم أن العرب كانت تتعامل بالربا إلا أنهم كانوا يعلمون أن التعامل بالربا ليس من مكارم الأخلاق، ويدل على ذلك أنهم عند إعادة بناء الكعبة اتفقوا ألا يجعلوا في بنائها درهمًا اكتسبوه من الربا، فيذكر ابن هشام في سيرته حاكياً قول أحد عرب الجاهلية يوم واقعة إعادة بناء الكعبة قال : " يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً ولا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس.

المعنى الشرعي للربا يختلف عن المعنى اللغوي:

حينما نص القرآن الكريم على تحريم الربا كان المقصود بالربا معانٍ لم يكن الاسم موضوعا لها في اللغة، ووسعت السنة النبوية المطهرة مفهوم الربا فلم يعد مقتصرًا على ربا الديون.

وأثبتت السنة أنواعاً جديدة من الربا لم تكن معروفة عند العرب وهي ربا الفضل وربا النسيئة، ومن ثم فالربا قد صار اسما شرعيا كسائر الأسماء المجملة المفتقرة إلى البيان.

وهي الأسماء المنقولة من اللغة، إلى الشرع لمعان لم يكن الاسم موضوعا لها في اللغة نحو الصلاة وهي في اللغة الدعاء، أما شرعا: فهي عبادة ذات أقوال وأفعال تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم. وكالصوم، وهو لغة: الإمساك عن الشيء، أما شرعا فهو: الامتناع عن الطعام والشراب والمفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله تعالى. وكالزكاة وهي لغة: الطهارة والنماء ؛ فهذه الأسماء حينما نقلت من معناها اللغوي

Upload by : altawhedmag.com

لتستخدم في المعنى الشرعي افتقرت إلى البيان، وبغير هذا البيان لا يتضح المقصود بها.

ولا يختلف الحال بالنسبة لمعنى الربا فمعناه اللغوي يختلف عن معناه الشرعي، ويؤكد هذا أبو بكر الجصاص في تفسيره حينما يقول: "... إن الربا في الشرع يقع على معان لم يكن الاسم موضوعًا لها في اللغة، ويدل عليه أن العرب لم تكن تعرف بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة نساء ربا وهو ربا في الشرع..". (أحكام القرآن: للجصاص، سورة البقرة، ج ١، ص ٥٦٣).

وينبني على ذلك أنه لا يجوز القول بتحريم شيء من العقود بدعوى اشتماله على الربا إلا إذا دل الدليل الشرعي على أنه مسمى في الشرع بالربا، وبعبارة أخرى النص على تحريم هذه الصورة من المعاملات.

الإجماع على أن ربا القرض نوع من أنواع الربا:

وربا البيوع هو الربا الذي انفرد به الاصطلاح الشرعي لأن العرب لم تكن تعرف هذا النوع من الربا قبل وروده في السنة المطهرة، حيث كانت العرب لا تعرف إلا ربا الديون، فشرح الفقهاء الربا بالمعنى الاصطلاحي الجديد، لأن ربا الديون معلوم للكافة. فلا خلاف إذًا في أن ربا القرض نوع من أنواع الربا، بل هو أهم هذه الأنواع حيث كان محلاً لربا الجاهلية الذي جاءت الشريعة بتحريمه، ولم يقع خلاف في تحريم ربا الديون بخلاف ربا البيوع الذي اختلف الفقهاء في تحريم بعض أنواعه. وقد نقل العديد من الفقهاء الإجماع على تحريم ربا الديون منهم:

ابن عبد البر القرطبي حيث قال في كتابه "الكافي" : "... أجمع العلماء من السلف والخلف أن الربا الذي نزل القرآن بتحريمه هو أن يأخذ صاحب الدين لتأخير دينه بعد حلوله عوضا عينا أو عرضا وهو معنى قول العرب إما أن تقضي وما أن تربي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء الورق بالورق ربا إلا هاء وهاء والذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء.." (الكافي في فقه أهل المدينة: لابن عبد البر ، ج٢ ، ص ٦٣٣).

ومن هؤلاء الفقهاء أيضًا ابن رشد القرطبي والذي قسَّم الربا إلى قسمين، قسم أسماه ربا البيوع وهذا ينقسم إلى ربا نسيئة وربا فضل، أما القسم الثاني فهو الربا فيما تقرر في الذمة والذي يشمل ربا الديون والذي سماه ربا الجاهلية، وقد نقل ابن رشد الإجماع على تحريمه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لابن رشد، كتاب البيوع، أسباب الفساد العامة في البيوع المطلقة، الباب الثاني في بيوع الربا، ج٣، ص١٤٨).

ومنهم ابن قدامة المقدسي والذي نقل عن ابن المنذر الإجماع على تحريم اشتراط الزيادة في القرض بغير خلاف، وأن المسلف إذا شرط على المستسلف زيادة أو هدية فأسلف على ذلك، أن أخذ الزيادة على ذلك ربا. كما نقل ابن قدامة عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أنهم نهوا عن قرض جر منفعة، ولأنه عقد إرفاق وقربة، فإذا شرط فيه الزيادة أخرجه

Upload by : altawhedmag.com

عن موضوعه (المغني لابن قدامة ، كتاب البيوع ، باب القرض ، فصل في قرض شرط فيه أن يزيده ، المسألة ٣٢٦٣ ، ج٤ ، ص ٢٤٠).

الفقهاء اقتصروا على ربا الفضل والنسيئة في كتب البيوع:

اتفق أئمة المذاهب الأربعة أن الربا ثلاثة أنواع : ربا الفضل وربا النسيئة وربا الديون، وإن كان معظم الفقهاء لم يذكروا ربا القرض في تقسيمهم للربا لأنهم تناولوا الربا في كتاب البيوع ؛ فلم يريدوا بالربا الذي قسموه ذلك الربا ذي المعنى العام الذي يشمل ربا القرض، وإنما أرادوا الربا الذي يقع في البيوع، وهو الربا الذي تريد كتب الفقه أن تذكر أحكامه الخاصة من وجهة نظر المدرسة الفقهية التي ينتمي المصنف إليها. فقسم الجمهور الربا إلى نوعين: ربا الفضل وربا النسيئة (النساء)، وذهب الشافعية إلى أن الربا أنواع ثلاثة : ربا الفضل، وربا النساء، وربا اليد، فربا الفضل والنساء عندهم كمثليهما عند الجمهور، وربا اليد عندهم يكون في البيع الذي لم يشترط فيه الأجل ولكن تأخر فيه فعلاً قبض أحد البدلين، وزاد بعض الشافعية قسمًا رابعًا وهو ربا الديون. وانفرد ابن القيم بتقسيم خاص للربا، وكذلك فعل ابن رشد القرطبي، وكلهم يقصد ربا البيوع.

ولذا حينما ننظر في كتاب البيوع نجد بابًا خاصًا بالربا وهو الربا الذي اختلفوا في علته، وهو الربا الذي يحدث في البيوع، أما النوع الذي لم يختلفوا فيه وهو ربا الديون فقد أفردوا له بابًا خاصًا به هو باب القرض.

اتفاق أئمة المذاهب الأربعة على ربا القرض قسم من أقسم الربا المحرم:

والذي دعا الفقهاء إلى الفصل بين ربا القرض وبين ربا البيوع أنهم رأوا أن ربا القرض أو ربا الدين إنما هو أصل مستقل بذاته يختلف عن ربا البيوع. فربا القرض يقع في كل مال ربوياً كان أم غير ربوي، أما ربا الفضل والنسيئة فيقع بالإجماع في الأصناف الستة الواردة في الأحاديث التي عرضنا لها فيما سلف، مع اختلافهم في العلة التي تمتد بها إلى غير هذه الأصناف، كما أن التأخير مغتفر في القرض بل إن قوام القرض وفائدته في التأخير، مع أن القرض يقع غالبًا في المال الربوي، والفقهاء وإن كانوا لم يختلفوا في تحريم ربا القرض إلا أن بعضهم رأى أن هذا الربا مندرج حكماً في معظم حالاته تحت ربا البيوع فإن القرض الذي غالباً مايقع في الذهب أو الفضة - وقد يقع في سائر الأصناف الربوية- ففي حالة اشتراط زيادة على مقدار القرض فإن المقدار الزائد الذي يشترطه المقترض إنما هو ربا فضل، لأن المقترض إنما يأخذ القرض ليرد أزيد منه إلى المقترض، فذلك فضل وقع في مال ربوي بجنسه فهو ربا فضل.

ولذلك ذهب بعضهم إلى عدم ضرورة ذكر ربا القرض كنوع مستقل، وقال: يمكن رده لربا الفضل، وفي مغني المحتاج ينقل الخطيب الشربيني عن الزركشي أنه قال - وهو يذكر أصناف الربا الثلاثة عند الشافعية - وزاد المتولي من شيوخ الشافعية ربا القرض المشروط فيه جر نفع ويمكن رده لربا الفضل (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ

Upload by : altawhedmag.com

المنهاج؛ للخطيب الشربيني كتاب البيع ، باب الربا ، ج٢ ، ص ٣٦٣).

والى ذلك ذهب أيضًا سليمان الجمل في حاشيته، حيث أكد أن ربا القرض هو من ربا الفضل، وقال : "... وانما جعل ربا القرض من ربا الفضل مع أنه ليس من هذا الباب، لأنه لما شرط منفعة القرض، كان بمنزلة أنه باع ما أقرضه بما يزيد عليه" (فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب - المعروف بحاشية الجمل- كتاب البيع ، باب الربا ،ج٣ ، ص ٤٥). ومعنى كلامه أن شرط المنفعة يخرج هذا العقد عن دائرة التبرع والإحسان ليدخله في دائرة المعاوضة، فيتحقق حينئذ ربا الفضل.

تناول الفقهاء ربا الديون في كتاب القرض:

ومن ثم يتبين أن عدم ذكر هؤلاء الفقهاء لربا الدين عند الحديث عن أنواع الربا إما أن يكون لأنهم يتحدثوا عن ربا البيوع فقط وأنهم تحدثوا عن ربا الديون عند الحديث عن القرض، وإما لأنهم رأوا أن ربا الدين يندرج بالضرورة تحت ربا الفضل وأنه يندرج تحت هذا النوع من الربا مع اتفاقهم جميعًا على تحريم ربا الديون.

ومن ثم فقد اقتصر البعض على تعريف الربا الجديد على العرب هو ربا البيوع فأغفل ربا الديون لأنها كانت معروفة عندهم، فجعل الاصطلاح الشرعي للربا خاص بربا البيوع، ويتضح ذلك من مسلك الفقهاء عند تعريفهم للربا، ولما كان الربا يجري في الديون عن طريق زيادتها لقاء الأجل، ويجري في المال الربوي عند بيعه بجنسه بزيادة مقداره، كما أنه يجري في بيع المال الربوي بغير جنسه دون أن يتم التقابض في مجلس العقد، ولذا نرى أن الأولى تعريف كل نوع على حده، ومع ذلك يمكن أن يشتمل تعريف الربا على هذه الأنواع الثلاثة بإدراج أنواعه فيه بحيث يتحقق الربا عند وجود أي جزء من التعريف.

تعريف الربا

ولو نظرنا إلى تعريف فقهاء المذاهب المختلفة للربا نجد تباينا بينهم في التعريف، ويرجع ذلك فيما نرى إلى اختلاف الفقهاء في الوقوف على الأحاديث وفي فهمها، وهو ما أدى إلى اختلافهم في بيان أنواع الربا وفي تعريفه. ويمكننا أن نعرف الربا بأنه: "الزيادة المشترطة في القروض والديون لقاء الأجل، أوبيع المال الربوي بنفس جنسه متفاضلا، أو بيع المال الربوي بغير جنسه دون أن يتم التقابض في مجلس العقد".

وهذا التعريف تضمن الأنواع الثلاثة للربا وهو ربا الديون والذي عرفناه بأنه " الزيادة المشترطة في القروض والديون لقاء الأجل"، وربا الفضل والذي عرفناه بأنه "بيع المال الربوي بنفس جنسه متفاضلا " وربا النسيئة والذي عرفناه بأنه " بيع المال الربوي بغير جنسه دون أن يتم التقابض في مجلس العقد ".

واذا وجد الربا بأي صورة من صوره هذه كان مفسدًا للمعاملة وهو ما يؤدي إلى بطلانها(كحكم وضعي) ، ويؤدي إلى تحريمها ووقوع أطراف المعاملة في الإثم واستحقاقهم العقوبة من الله عز وجل (كحكم شرعي) نسأل الله العافية، وللحديث تتمة بمشيئة الله تعالى.

Upload by : altawhedmag.com

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

إطلاق لفظ (الحَدِّ) على الله بين النفي والإثبات

إعداد: أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإنه لا مناص -قبل أن نميط اللثام عما عليه خلف هذه الأمة الصالح فيما يخص التلفظ بكلمة (الحد) المجملة، في حق الله تعالى وبشأن فوقيته وعلوّه على عرشه فوق سماواته- أن نُذكِّر بما خلُصنا إليه من "أن (الحدَّ) يقال على: ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه، فـ(الحدُّ) بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلًا، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته. وأما (الحدُّ) بمعنى: العلم والقول، وهو أن يَحدَّهُ العباد - بالإحاطة والجهات المعلومة للبشر بحيث يحويه شيء من مخلوقاته والقول في ذلك بالكيف ومشابهة الخالق بالمخلوق - فهذا منتفٍ بلا منازعة بين أهل السنة".

التحقيق المبارك فيما روي في الحد عن ابن المبارك:

وقبل أن نعرض لكلام أهل العلم المعاصرين، تجدر الإشارة إلى أن أحد الباحثين قد سرد تحت هذا العنوان: الروايات التي ورد فيها لفظ (الحد)، وذلك فيما يشبه الحصر لتلك الروايات التي ورد فيها هذا لفظ الحد في عبارة ابن المبارك، فقد قال دكتور وليد بن الصلاح ما نصه:

- روى الأثر بزيادة لفظ (الحد) عن ابن المبارك: عثمان الدارمي في الرد على الجهمية فقال: حدثنا الحسن بن الصباح البزار البغدادي، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك.. وذكره.

- ورواه أيضًا: البيهقي من طريق محمد بن نعيم عن الحسن بن الصباح عن ابن شقيق، ولكن محمد بن نعيم هو إما الجرمي أو البخاري، وكلاهما ذُكرا دون جرح أو تعديل كما ذكر ذلك الحاشدي في حاشيته على الأسماء والصفات.

- وروى الزيادة أيضًا: عبدالله بن أحمد في السنة من طريق آخر عن ابن شقيق فجاء في السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٤): ٢١٦ ما نصه: (حدثني عبدالله بن أحمد بن شبويه أبو عبدالرحمن قال سمعت علي بن الحسن - يعني: ابن شقيق - يقول: سمعت عبدالله يقول: (الإيمان قول وعمل يزيد وينقص..): قال: وسمعت عبدالله يقول: (نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش بائن من خلقه بحدّ ولا نقول كما قالت الجهمية ها هنا وأشار بيده إلى الأرض).

- ورواها بزيادة الحد أيضًا: ابن بطة والذهبي

Upload by : altawhedmag.com

عن الإمام أحمد عن ابن المبارك ولكن بصيغة التمريض (يحكى)، والإمام أحمد لم يسمع من ابن المبارك وإنما يروى عنه في المسند بواسطة عبدالرحمن بن المهدي والقطان وغيرهم.

- وروى الزيادة أيضًا البيهقي في الأسماء والصفات من طريق عبدالعزيز بن حاتم عن ابن شقيق.. فهذه جملة من روى أثر ابن المبارك بزيادة لفظ الحد.

وخلف هذه الأمة الصالح في التعامل مع الألفاظ المجملة على نفس نهج سلفها الماضين:

يقول الشيخ ابن عثيمين في شرح ما جاء من قول العلامة محمد بن أحمد السفاريني في منظومته المسماة: (الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية): سبحانه قد استوى كما ورد من غير كيف قد تعالى أن يُحد

يقول ص١٨٤: "تقدير العبارة: تعالى عن الحد، يعني: أن الله لا يُحد، وهذا الحد من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، ليس في الكتاب أن الله يحد ولا أنه لا يحد، ولا في السنة أن الله يحد ولا أنه لا يحد، وإذا كان كذلك فالواجب السكوت عنه، لا تقل: (إنه يحد أو أنه لا يحد)، ما الذي حداك على أن تقول: (إنه يحد أو لا يحد)، ليس هناك ضرورة، ولو كان من الضروري أن نعتقد أن الله يُحدُّ أو لا يُحدّ؛ لبيَّنه الله ولبينته السنة، لأن الله يقول: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ» (النحل: ٨٩)"

ويفاد من كلامه أن من نطق بهذا اللفظ المجمل، إنما دعته لنطقه إياها الضرورة الملجئة، كان يكون مخاطبه المنكر لعلو الله تعالى وفوقيته؛ لا يفهم إلا باللغة المتضمنة لهذا المصطلح، يعني: بغرض بيان أن استواءه تعالى على عرشه؛ مباين لخلقه الذي منه العرش؛ باعتبار أن العرش كذلك من خلقه، منفصل سبحانه عنهما.

يقول الشيخ ابن عثيمين مستطردًا: "ولذلك - أي: ولأجل أن هذا المصطلح لم يرد في كتاب ولا سنة ولا نطق به أحد من الصحابة - اختلف كلام من تكلم به من السلف هل نقول: إن الله يحد أو نقول إن الله لا يُحدّ؟، فمنهم من أنكر الحد، وقال: (إنه لا يجوز أن نقول: إن الله محدود)، ومنهم من قال: (يجب أن نقول: إن الله محدود، وأن له حدًا)، ولكن يجب أن نعلم أن الخلاف يكاد يكون لفظيًا؛ لأنه يختلف باختلاف معنى الحد المثبت والمنفي.. فمن قال: (إن الله محدود)؛ أراد أنه بائن من الخلق، ومحادٌ لهم، ليس داخلًا فيهم، ولا هم داخلون فيه، كما نقول: (هذه أرض فلان وهذه أرض فلان، كل واحدة منهما محدودة عن الأخرى وبينهما حدّ)، فمن أثبت الحد وأراد به هذا المعنى أي: أن الله تعالى منفصل بائن عن الخلق ليس حالًا فيهم ولا الخلق حالون فيه، فهذا المعنى صحيح.. ومن قال: (إنه غير محدود)، وأراد: أن الله تعالى أكبر من أن يُحدّ، ولا يُحدّه شيء من مخلوقاته ولا يحصره شيء من مخلوقاته، فقد وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يمكن أن يحده شيء من المخلوقات، فهذا المعنى صحيح أيضًا، وكل السلف متفقون على هذا.. وعليه: فيكون الخلاف بينهم لفظيًا، بحسب هذا التفصيل.

فقول المؤلف رحمه الله: (قد تعالى أن يُحدّ)، يدل على أنه ممن يُنكر أن يوصف الله بالحدّ، فيُحمل كلامُه على أن المراد بـ(الحدّ): الحدّ الحاصر الذي يحصر الله عز وجل، فنقول: إن الله تعالى- بهذا المعنى- غير محدود، فالله واسع عليم، «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ» (البقرة: ٢٥٥)، والسماوات والأرضين كلها في كف الرحمن كخردلة في كف أحدنا، وهذا على سبيل التقريب، وإلا فما بين الخالق والمخلوق أعظم مما بين كف الإنسان والخردلة، وقد أراد المؤلف بنفي الحد هنا ما ذكرناه، يعني: الحد الذي يحصر الله عز وجل، ولم يُرد الحد الذي يجعله بائنًا من الخلق، فإن الحد الذي يراد به بينونة الله من خلقه، أمر ثابت واجبٌ اعتقاده، على أننا كما قلنا: إن الكلام في الحد إثباتًا ونفيًا من الأمور التي ينبغي السكوت عنها؛ لأنها لم ترد في القرآن، ولا في السنة، لكن إذا ابتلينا، وجب أن نفصل" ا.هـ

وكان الشيخ ابن عثيمين قد أتبع ذلك بشرح قول

Upload by : altawhedmag.com

السفاريني:

فلا يحيط علمه بذاته

كذلك لا ينفك عن صفاته

قائلًا: "قوله: (فلا يحيط علمنا بذاته)، هذا مما يدل على أنه أراد بقوله: (تعالى أن يحد): أنه لا يمكن أن يكون محصورًا يُحاط به، فلهذا قال: (فلا يُحيطُ علمُنا بذاته)، فذات الله تعالى لا يمكن أن يحيط بها العلم، وإذا كان الحس لا يحيط بها فالعلم من باب أولى"ا.هـ.. وهو كلام قريب مما علّق به ابن أبي العز على عبارة الطحاوي السالفة الذكر. وبهما يزول الإشكال، ويُحسن بمن فاه به الظن.

المزيد من تعليقات الشيخ على الواسطية

بعد أن ذكرنا تعليقاته على السفارينية:

وتماشيًا مع ما تم ذكره للشيخ ابن عثيمين طفق في ذات السياق وابان شرحه لأحد الأدلة التي ساقها شيخ الإسلام - في كتابه (العقيدة الواسطية) ص٢٤١ على علوه تعالى على مخلوقاته، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٥) - طفق يقول: "الذين أنكروا علو الله بذاته يقولون: (لو كان في العلو بذاته: كان في جهة، وإذا كان في جهة: كان محدودًا وجسمًا، وهذا ممتنع!).. والجواب عن قولهم: (إنه يلزم أن يكون محدودًا وجسمًا) يرد عليه:

أولًا: لا يجوز إبطال دلالة النصوص بمثل هذه التعليلات، ولو جاز هذا: لأمكن كل شخص لا يريد ما يقتضيه النص أن يعلله بمثل هذه العلل العليلة، فإذا كان الله أثبت لنفسه العلو، ورسوله صلى الله عليه وسلم أثبت له العلو، والسلف الصالح أثبتوا له العلو؛ فلا يُقبلُ أن يأتي شخص ويقول: لا يمكن أن يكون علو ذات؛ لأنه لو كان علو ذات؛ لكان كذا وكذا.

ثانيًا: إن كان ما ذكرتم لازمًا لإثبات العلو لزومًا صحيحًا؛ فلْنَقُلْ به؛ لأن لازم كلام الله ورسوله حق؛ إذ إن الله تعالى يعلم ما يلزم من كلامه، فلو كانت نصوص العلو تستلزم معني فاسدًا، لبيّنه، ولكنها لا تستلزم معني فاسدًا.

ثالثًا: ثم نقول: ما هو الحد والجسم الذي أجلبتم علينا بخيلكم ورجلكم فيهما؟!.. أتريدون بـ(الحد) أن شيئًا من المخلوقات يحيط بالله؟ فهذا باطل ومنتف عن الله، وليس بلازم من إثبات العلو لله.. أو تريدون بـ(الحد) أن الله بائنٌ من خلقه غيرُ حالٍ فيهم؟ فهذا حق من حيث المعني، ولكن لا نطلق لفظه نفيًا ولا إثباتًا، لعدم ورود ذلك.

وأما (الجسم)، فنقول: ماذا تريدون بـ(الجسم)؟ أتريدون أنه جسم مركب من عظم ولحم وجلد ونحو ذلك؟، فهذا باطل ومنتف عن الله، لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. أم تريدون بـ(الجسم): ما هو قائم بنفسه متصف بما يليق به؟، فهذا حق من حيث المعني، لكن لا نطلق لفظه نفيًا ولا إثباتًا، لما سبق.. وكذلك نقول في (الجهة)، هل تريدون أن الله تعالي له جهة تحيط به؟ فهذا باطل، وليس بلازم من إثبات علوه، أم تريدون جهة علو لا تحيط بالله؟ فهذا حق لا يصح نفيه عن الله تعالى"ا.هـ بتصرف يسير.

وفي فتوى حملت رقم ٤٨٥٦٦ عن حكم إثبات أو نفي الحد عن الله تعالى، جاء الجواب بما ملخصه:

الحمد لله.. وبعد: فقد نبتت نابتة الجهمية الخبيثة، وادعت أن الله تعالى وتقدس في كل مكان، وأنه غير مباين لخلقه!!، فاضطر أهل العلم إلى النص على ما يبطل هذه المقولة الفاسدة، وقد عقد الإمام أبو سعيد الدارمي في نقضه على المريسي بابًا في: (الحدّ والعرش) قال فيه: "ادّعى المعارض أيضًا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية، وهذا هو الأصل الذي بنى عليه جهم ضلالاته واشتق منها أغلوطاته، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهمًا إليها أحدٌ من العالمين... والله تعالى له (حدّ) لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لـ(حدّه) في نفسه، ولكن يؤمن بـ(الحد) ويَكِلُ علم ذلك إلى الله، ولمكانه أيضا (حدٌ)، وهو على عرشه فوق سماواته فهذان حدّان اثنان.

Upload by : altawhedmag.com

وسئل ابن المبارك: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائن من خلقه. قيل: بـ(حد؟)، قال: (بحد)... فمن ادعى أنه ليس لله حدٌ فقد ردّ القرآن، وادّعى أنه لا شيء، لأن الله حدّ مكانه في مواضع كثيرة من كتابه فقال: «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ» (طه: ٥)، «ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ» (الملك: ١٦)، «يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ» (النحل: ٥٠)، «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ» (آل عمران: ٥٥)، «إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ» (فاطر: ١٠)، فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد"ا.هـ.

وقد نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابيه: (درء التعارض)، و(بيان تلبيس الجهمية)، وهذا هو خلاصة القول في هذه المسألة: (أن لله تعالى حدًا، ولكن لا يعلمه أحد غيره؛ ولما كان إثبات الحد دون هذا القيد قد يوهم الحصر ومحدوديته في المكان، نفاه بعض أهل العلم، يريدون بذلك نفي الإحاطة بالله علمًا وإدراكًا، وأنه سبحانه مباينٌ للأمكنة المحدثة، قال السجزي في رسالته في الرد على من أنكر الحرف والصوت: (الحق أنّ الله سبحانه فوق العرش بذاته، من غير مماسة وأن الكرّامية ومن تابعهم على قول المماسّة ضلال.

وعند أهل الحق أن الله سبحانه مباينٌ لخلقه بذاته فوق العرش بلا كيفية بحيث لا مكان... وليس في قولنا: (إنّ الله سبحانه فوق العرش) تحديد، وانما التحديد يقع للمحدثات، فمن العرش إلى ما تحت الثرى محدود، والله سبحانه فوق ذلك بحيث لا مكان ولا حدّ، لاتفاقنا أن الله سبحانه كان ولا مكان ثم خلق المكان، وهو كما كان قبل خلق المكان، وقد ذكر الله سبحانه في القرآن ما يشفي الغليل وهو قوله تعالى: «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ» (طه: ٥- ٦)، فخصّ العرش بالاستواء، وذكر ملكه لسائر الأشياء فعُلم أنّ المراد به غير الاستيلاء، وإنما يقول بالتحديد من يزعم أنه سبحانه بكل مكان، وقد علم أنّ الأمكنة محدودة، فإذا كان فيها بزعمهم كان محدودًا، وعندنا أنه مباين للأمكنة ومن حلها ومن فوق كل محدث، فلا تحديد في قولنا، وهو ظاهر لا خفاء به)ا.هـ.

وعلى ذلك علق محقق الكتاب الدكتور محمد باكريم، بكلام طويل مفيد، فراجعه إن شئت، وقد قام الدكتور محمد بن خليفة التميمي بتحقيق ودراسة كتاب: العرش للإمام الذهبي، وعمل له مقدمات مفيدة، ومن جملتها: (فصل عن مسائل متعلقة بالعلو والاستواء)، وتجد فيه تفصيلاً مُهمًا ونقولًا مفيدة في هذا الموضوع، وقد ذكر في خلاصة الأقوال في مسألة إثبات الحد لله تعالى ثلاثة أقوال:

-"القول الأول: قول من يقول: (هو فوق العرش ولا يوصف بالتناهي ولا بعدمه، إذ لا يقبل واحدًا منهما)، فعندهم أن الله فوق العرش ولا يوصف بأن له قدرًا، وهذا يقوله بعض أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف من الكلابية والكرّاميّة ومن وافقهم من أتباع الأئمة من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم.

-القول الثاني: قول من يقول: (هو غير متناه، إما من جانب، وإما من جميع الجوانب)، وهذا يقوله أيضًا طوائف من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم، وحكاه الأشعري في المقالات عن هذه الطوائف.

-القول الثالث: قول السلف والأئمة وأهل الحديث والكلام والفقه والتصوف الذين يقولون: (له حدٌ لا يعلمه غيره)ا.هـ.

وممن تناول هذه المسألة أيضًا: ابن سحمان في تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة، وراجع لمزيد الفائدة الفتاوى التالية أرقامها: ٥٣٩٢٥، ١٣٢٤١٧، ١١٨٣٢٣، ١٣٤١٩٠، ١٣٥٨٨٩، والله أعلم" انتهت الفتوى، ومنها نتبين أن إطلاق جمع من السلف لهذا اللفظ كان ردًا على الجهمية والحلولية وأشباههم من أهل البدعة، وبيانًا لمعنى شرعي صحيح في نفس الأمر، وإن كان الشرع لم يُعبّر عنه بهذا اللفظ.

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الأم مدرسة تربوية

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام.

وبعد: فقد رفع الإسلام مكانة الأم، وأوصى بها؛ قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ». صحيح البخاري (٥٩٧١)، صحيح مسلم (٢٥٤٨).

إعداد: الشيخ صلاح عبد الخالق

أولاً: الأُمُّ مَدْرَسة

الأم من أعظم المدارس التي تُخرّج لنا قادة الأمة وعلماءها مثل الشافعي والبخاري والثوري... بشرط حُسن الإعداد والتربية. النساء مصانع الرجال، إذا صلحت صلح البيت والمجتمع وكل شيء وعمّت السعادة.

قال الشاعر حافظ إبراهيم في وصف الأم:

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا
أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ
الأُمُّ أُسْتَاذُ الأَسَاتِذَةِ الأُلَى
بَلَغَتْ مَآثِرُهُمْ مَدَى الآفَاقِ
رَبُّوا البَنَاتِ عَلَى الفَضِيلَةِ
إِنَّهَا فِي المُوقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرُ وِثَاقِ

ثانيًا: علمتني أُمي

هذه الأم الأُمّيّة التي لم تتعلم في مدارس نظامية، ولكنها تعلمت في مدارس حياتية واقعية؛ مدرسة الفطرة السليمة الربانية، فأخرجت أفضل الكلمات التربوية، والله حسيبها ولا نُزكيها على خالق البرية، منها مثلاً:

(١) إذا أكثرت من فعل الخيرات وجبرت بخاطر الناس لوجه الله، فلن يُخيبك الله، بل سُينجيك من كل ورطة ومُصيبة ويكون بجوارك دائمًا.

(أ) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ قَالَتْ: كَانَ صلى الله عليه وسلم يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ... فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها،

Upload by : altawhedmag.com

فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»: فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

(صحيح البخاري (٣)).

"والله ما يخزيك الله أبدا": أي: أقسم بالله أنه لن يُصيبك هوان أو مكروه، أو ينالك ذل أو فضيحة مدى الحياة؛ لأنك على جانب عظيم من مكارم الأخلاق؛ "إنك لتصل الرحم": أي تحسن إلى أقاربك بالبذل والعطاء، والخدمة والسماحة، "وتحمل الكل": أي وتساعد العجزة والضعفاء، وتعينهم وتحمل عنهم أعباء حياتهم، "وتكسب المعدوم"، بمساعدة العجزة والضعفاء، والبذل لهم من ماله، "وتعين على نوائب الحق": أي وتعين الناس عند وقوع الحوادث، وتقف من ذلك في جانب الحق فتناصر المظلوم، وتأخذ على يد الظالم، وتسعف الملهوف، وتجير من استجار بك. (منار القاري ١/ ٣٨).

(ب) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» صحيح مسلم (٢٦٩٩).

(٢) علمتني أمي كثرة الدعاء للذرية؛ وان ظهر منهم عقوق.

اشتكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال: استعن عليه بهذه الآية، وتلا «رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ» (الأحقاف: ١٥). قوله تعالى: "وأصلح لي في ذريتي": أي اجعل ذريتي صالحين. واجعلهم أبرارا لي مطيعين لك. ووفقهم لصالح أعمال ترضى بها عنهم. ولا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلا. (تفسير القرطبي ١٦/ ١٩٥).

من أدعية أمي لي ولإخوتي مثلاً:

(١) ربنا ما يحوجك لحد: وهذه نعمة كبيرة؛ لأن الحوجة إلى غير الله مُرّة.

عن علي، أن مكاتبا جاءه فقال: إني قد عجزت عن مكاتبتي فأعني، قال: "ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو كان عليك مثل جبل صير دينا أداه الله عنك، قال: قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك. سنن الترمذي (٣٥٦٣)، صحيح الجامع (٢٦٢).

-(اكفني) أي: اصرفني وابعدني: (بحلالك عن حرامك) برزقك الحلال عن الوقوع في الحرام، واجعلني مستغنيا به عمن سواك. شرح حصن المسلم (١/ ٢٢٥).

- قوله: "وأغنني بفضلك عمن سواك": أي: واجعل فضلك وهو ما تمن به علي من نعمة وخير ورزق مغنيا لي عمن سواك، فلا أفتقر إلى غيرك، ولا ألتجئ إلى أحد سواك. فقه الأدعية والأذكار(٣/ ٢٠٠).

(٢) يحبب فيك خلقه: وهذه نعمة عظيمة أن يحبك خلق الله: لأن محبة الخلق من عند الله تعالى الذي يحبك والذي بيده قلوب العباد. قال تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا» (مريم: ٩٦). يجعل لهم ودا، أي: محبة ووداداً في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وتيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول. (تفسير السعدي: ص٥٠١).

وفي صحيح مسلم (٢٦٣٧) باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القبول في الأرض. رواه البخاري (٣٢٠٩).

معنى يوضع له القبول في الأرض أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه. شرح النووي (١٦/ ١٨٤).

(٣) تأكل من خير أبنائك: المعنى تفرح بأولادك وتراهم في أحسن حال وتسعد بهم وتمتع

Upload by : altawhedmag.com

بخيراتهم في الدنيا ولا يحوجوك إلى أحد أبدًا إلا لله تعالى فقط.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ (النور: ٦١): «أن تأكلوا من بيوتكم» أي: بيوت أولادكم، وهذا موافق للحديث. السعدي (٥٧٥).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم. سنن الترمذي (١٣٥٨). صحيح الجامع (١٥٦٦).

- (إن أطيب ما أكلتم): أي: أحله وأهناه (من كسبكم) أي مما كسبتموه (وإن أولادكم من كسبكم)؛ لأن ولد الرجل بعضه وحكم بعضه حكم نفسه وسمي الولد كسبا مجازا وذلك لأن والده سعى في تحصيله. فيض القدير (٤٢٥/٢).

(٤) لا يحكم عليك ظالم: المعنى الله يحفظك من الوقوع في المعاصي حتى لا يسلط الله عليك من يظلمك.

عن ابن عمر، قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا» سنن الترمذي (٣٥٠٢) وصحيح الجامع (١٢٦٨). ولا تسلط علينا من لا يرحمنا: لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا يا أرحم الراحمين.

(٥) سألت عليك العافية: والمعنى دعاء بالتمتع بنعمة الصحة والعافية والسلامة من كل سوء في كل زمان ومكان. فعن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله علمني شيئا أسأله الله عز وجل، قال: «سل الله العافية». فمكثت أيامًا ثم جئت فقلت: يا رسول الله علمني شيئا أسأله الله، فقال لي: «يا عباس يا عم رسول الله، سل الله العافية في الدنيا والآخرة» سنن الترمذي (٣٥١٤)، صحيح الجامع (٧٩٣٨).

الدعاء بالعافية من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم سبحانه وتعالى ويستدفعون به في كل ما يهمهم ثم كلمه صلى الله عليه وسلم بقوله "سل الله العافية في الدنيا والآخرة". فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا. (تحفة الأحوذي (٣٤٨/٩).

(٦) ربنا يكفيك شر خلقه: المعنى دعاء بأن يحفظك الله تعالى من شر كل المخلوقات.

عن خولة بنت حكيم السلمية، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "إذا نزل أحدكم منزلا، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه" صحيح مسلم (٢٧٠٨).

ثالثا: تحذير الأمهات من الدعاء على الأولاد: نريد من الأمهات تغيير قاموس كلماتها فتكون كلمات ناطقة بالدعاء للذرية وتبعث الأمل؛ ولا تكون مليئة بالدعاء على الذرية، ففيها الدمار والهلاك الكامل، ومخالفة للقرآن والسنة؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم» صحيح مسلم (٣٠٠٩).

كما علمتني أمي المحافظة والمداومة على صلة الأرحام وإن قطعوا.

أخيرا: الأم أغلى من كنوز الدنيا مجتمعة؛ الأم كنز لا يقدر بمال وكنوز الدنيا كلها، فكل من عنده أم على قيد الحياة، لديك مجمع كنوز، حافظ عليه واطلب منها الدعاء لك ولأولادك، ومن كانت أمه من الأموات فليدع الله تعالى لها بواسع الرحمات.

Upload by : altawhedmag.com

من فضائل الكتاب العزيز

إعداد: الشيخ/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله عز وجل، هو دستورنا ومنهاج حياتنا كلها وهو أصل الأدلة والأحكام الشرعية، جعله الله سبحانه وتعالى آخر رسالاته لهداية البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور وتحقيق مصالحها الدينية والدنيوية.

والقرآن الكريم هو كلام الله المعجز المنزّل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي، المتعبد بتلاوته، والمنقول إلينا بالتواتر في المصاحف والمبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

أودع الله سبحانه فيه الهدى والنور والرحمة والسعادة والشفاء، وأبان فيه العلم والحكمة والحكم والتشريع، من صار عليه وعمل به سلم وهُدي إلى صراط مستقيم؛ قال تعالى: «قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (المائدة: ١٥-١٦).

إن القرآن الكريم هو هدى الله تعالى، الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون دستورًا للمؤمنين، يسيرون على هديه ويتبعون منهجه.

والقرآن الكريم هو روح الأمة الإسلامية، به حياتها وعزها ورفعتها، قال تعالى مخاطبًا رسوله صلى الله عليه وسلم: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا» (الشورى:٥٢)؛ فالقرآن الكريم روح يبعث الحياة ويُحرّكها ويُنمّيها في القلوب، وفي الواقع العملي المشهود، والأمة بغير

Upload by : altawhedmag.com

القرآن أمة هامدة لا حياة لها ولا وزن ولا مقدار.

والقرآن الكريم هو النور الهادي إلى الصراط المستقيم، نور تخالط بشاشته القلوب التي يشاء الله لها أن تهتدي به بما يعلمه من حقيقتها ومن مخالطة هذا النور لها قال تعالى: «أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأنعام: ١٢٢).

إن القرآن الكريم هو الكتاب الخالد الذي «لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصلت: ٤٢).

وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر: ٩).

فضل القرآن الكريم:

فضل القرآن الكريم كبير وعظيم، فهو الكتاب الذي أخرج به الله عز وجل هذه الأمة من الضلالة العمياء، والجاهلية البغيضة، إلى نور الهداية وسبل السلام، هو كتاب ختم الله سبحانه به الكتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء وأرسله بشريعة ختم بها الشرائع.

نهل من معينه العلماء، وخشعت لهيبته الأبصار، ورقّت له القلوب وقام بتلاوته العابدون، والراكعون، والساجدون.

هو كتاب عقائد وعبادات وحِكَم وأحكام وآداب وأخلاق وقصص ومواعظ وعلوم وأخبار وهداية ونظم وإرشاد.

هو أساس رسالة التوحيد والرحمة المسداة للناس أجمعين والنور المبين، والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

قال الله تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ» (المائدة: ٤٨). قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: المهيمن: الأمين، قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله (تفسير الطبري ٤٨٨/٨، ط: دار هجر)، وفي رواية: شهيدًا عليه وفي أسماء الله تعالى «الْمُهَيْمِنُ» (الحشر: ٢٣)، وهو الشهيد على كل شيء الرقيب الحفيظ بكل شيء.

وقال الله تعالى: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ» (يونس: ٥٨)، قال ابن عباس: فضل الله: الإسلام، ورحمته: أن جعلكم من أهل القرآن (تفسير الطبري (١٢/١٩٧).

وقال تعالى: «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ» (الإسراء: ٨٢).

فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وانما ذلك للمؤمنين به المصدقين بآياته العالمين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا.

وقال تعالى: «قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ» (المائدة: ١٥)، وهو القرآن يُستضاء به في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة.

وقال الله تعالى: «وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ» (الأنبياء: ٥٠). «وَهَٰذَا» أي القرآن «ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ»، فوصفه بوصفين جليلين، كونه ذكرًا يتذكر به جميع المطالب من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن صفات الرسل والأولياء وأحوالهم ومن أحكام الشرع من العبادات والمعاملات وغيرها، ومن أحكام الجزاء والجنة والنار.

وكونه (مباركًا) يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن.

وقال تعالى: «لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ» (الأنبياء: ١٠)، أي شرفكم وفخركم وارتفاعكم، وما تذكرون به.

وقوله تعالى: «بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ» (المؤمنون: ٧١) أي: بما فيه شرفكم.

Upload by : altawhedmag.com

فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه:

قال الله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ » (فاطر: ٢٩-٣٠).

«تجارة لن تبور»: أي ثوابًا لا ينقطع.

وأي تجارة أعظم من تلك التجارة، وأي ربح أعظم من ذلك الربح.

قال قتادة: كان مطرف بن عبدالله إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء (تفسير ابن كثير: ٣/٥٣٢).

وقال سبحانه: « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » (يونس: ٥٨)، قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: (فضل الله: الإسلام، ورحمته: حين جعلهم من أهل القرآن) (تفسير الطبري: ١٢/١٩٧).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه».

ومن كان شفيعه القرآن، فهو إن شاء الله من أهل الجنان، الناجين برحمة الله وفضله من النيران، والمنعمين في الجنة بالقرب من ربهم والرضوان.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» (رواه البخاري ٥٠٢٧).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مُكمّل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر، والنفع المتعدي، ولهذا كان أفضل. وهو من جملة من عني الله سبحانه وتعالى بقوله: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (فصلت: ٣٣)، والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع...) (الفتح (٨/٦٩٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران»، وفي رواية: قال صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأه، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران» (رواه الترمذي رقم ٢٩١٢، في ثواب القرآن، وقال: حديث حسن صحيح. والدارمي ٣٣١١ وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٦٣٤٥). ومعنى يتعاهده: يكثر من تلاوته.

والحديث دليل على فضل حافظ القرآن، الماهر بتلاوته، وأنه مع الملائكة الأبرار حملة القرآن، كما قال تعالى: « كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ » (عبس: ١١-١٦).

هل يريد قارئ القرآن شيئًا أكثر من هذا؟ إن كان ممن تعلموا القرآن وعلّموه غيرهم، فهو من خيار الناس، بل: هو خيرهم، وإن كان من المتقنين لتلاوته، المجيد لقراءته، فهو في نعيم الجنات، مع الملائكة السفرة الكرام البررة.

وإن كان من المبتدئين في تلاوته، والمتعلمين لقراءته، ويتردد في حروفه وكلماته، ويشق عليه بثقل لسانه في نطق آياته فله أجراه، أجر على قراءتهن وأجر لصبره على مشقة القراءة

Upload by : altawhedmag.com

والتعتعة حتى يتعلم، فهو في جميع أحواله من الفائزين المفلحين. وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (رواه أبو داود ١٤٦٤، والترمذي ٢٩١٥، وقال حسن صحيح، وصححه الشيخ أحمد شاكر).

تأمل قوله: «لصاحب القرآن» والصاحب هو الذي يلازم ويؤلف ويحب، فكأن حافظ القرآن له من الألفة مع القرآن والمحبة له ما ليس لغيره.

فيا لسعادة المكثرين من التلاوة لكتاب الله رب العالمين، والحفظ لآياته وسوره، فدرجاتهم في الجنان عالية، وحسناتهم عند ربهم كثيرة ومتنامية.

ويا لخسارة المقلين، وقد تخلفوا عن ركب السابقين المقربين وتحسروا على تفريطهم في تلاوة القرآن، وحفظ كلام ربهم الرحمن، وندموا حيث لا ينفعهم الندم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (رواه مسلم ٢٧٠١، وأبو داود ١٤٥٥).

ولأجل هذه النصوص وغيرها: اشتدت عناية السلف الصالح بكتاب الله عز وجل، تلاوةً وحفظًا وتدريسًا وعملًا وكانوا ينصحون بالإقبال على هذا القرآن، وعدم الانشغال عنه بغيره، ومن أقوالهم في هذا:

قال خباب رضي الله عنه: "تقرَّبْ إلى الله ما استطعتَ، فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه".

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم».

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «من أحب القرآن فقد أحب الله، فإنما القرآن كلام الله».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «إن البيت الذي يُتلى فيه القرآن اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه القرآن، ضاق بأهله، وقل خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين» (من كتاب «كيف نتعامل مع القرآن» نقلًا عن إحياء علوم الدين للغزالي).

وأختم هذا الباب بهذا الحديث الرائع عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله أهلين من الناس» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» (رواه أحمد ١٢٧/٣، وابن ماجه ٢/٥، وصححه الألباني).

والقرآن يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين» (رواه مسلم: ٨١٧).

نسأل الله أن يجعلنا من الذين رفعهم الله بهذا القرآن، ويجعلنا من الذين يتلونه حق تلاوته.

Upload by : altawhedmag.com

فتح الأندلس

الشيخ/ محمد صفوت نور الدين
رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلقد جاء الإسلام نظامًا متكاملاً من عند الله رب العالمين، وعمل به أول المكلفين رسول رب العالمين، أول العابدين، ودعى الناس إليه بالتنزيل في القرآن، وبما رزقه الله من البيان (السنة)، وكان عمله هو التطبيق للقرآن، فكان خُلق النبي صلى الله عليه وسلم هو القرآن، وتربى على ذلك أصحابه، رضوان الله عليهم، ثم التابعون من بعدهم.

لذلك دانت الأرض سريعًا لسلطانهم، ولا يعني هذا أنهم كانوا معصومين من الخطأ والمخالفات، لكنهم كانوا إذا أخطأوا رجعوا، وكانت أخطاؤهم مغمورة في بحار حسناتهم.

حفظ الله تعالى لدينه:

ولقد حفظ الله للأمة أسباب معرفتهم بدينهم في نص القرآن والسنة، وفي بيان ذلك بالعلماء وتلامذتهم، فلا يزال ذلك معروفًا إلى اليوم، لكنه صار ضعيف الأثر - لا أقول معدوم الأثر - حيث تكون هذه الكتب بمطالعتها سببًا لإسلام الكثير من غير المسلمين، مع أن واقع حياة المسلم وبلاد المسلمين ليست في ذاتها دعوة إلى الإسلام. فلقد بقيت المعرفة النظرية محددة يتناولها الخطباء والكُتاب. هذا بالنسبة لنظم الحكم في بلاد الإسلام، أما نظام الأموال والبيوت فضلاً عن العبادات فالحال فيه أفضل كثيرًا، حيث لا ينقطع العمل بها في الأفراد والمجتمعات، وإن اعتراها الخلل العظيم.

فتوحات عظيمة:

ولقد حفل القرن الأول الهجري في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الخلافة الراشدة، ثم الدولة الأموية بالفتوحات العظيمة، التي كان منها فتح بلاد الأندلس، التي فتحها الله تعالى على المسلمين سنة ٩٢ للهجرة، ثم بقيت ثمانية قرون تحت الحكم الإسلامي، ثم أخرج منها الإسلام والمسلمون، وأجبر من بقي على ترك دينه، فبقيت خمسة قرون مغلقة في وجه المسلمين، والآثار الإسلامية بما فيها المساجد مفتوحة للسياحة فقط، ثم إذا بالمسلمين يدخلونها منذ سنوات قلائل، وتظهر فيها دعوة الإسلام مرة أخرى، وتفتح بها مساجد، إلا أنها على نظام بلاد الغرب؛ لا يعلن فيها بالأذان !! وذلك يرجعنا إلى أن نذكر لمحة تاريخية عن فتح الأندلس.

فتح الأندلس على يد طارق بن زياد:

طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، الذي كان مولى عبد العزيز بن مروان مبعوث الوليد بن عبد الملك لفتح بلاد المغرب سنة ٨٨هـ، وطارق بن زياد كان أحد الموالي الذين كان لهم شأن في الفتوح الإسلامية، وقد وثق به موسى بن نصير، فقربه وأمّره على بعض الجيوش، ففتح به بلاد البربر، وولاه طنجة، ثم ندبه لفتح إسبانيا لما رأى فيه صدق

Upload by : altawhedmag.com

العزيمة، وشدة البأس، وصلابة العود، وحسن الكلام، وقوة البيان، والقدرة على التأثير في قلوب سامعيه. وقد ظهر منه الإخلاص في الجهاد.

وفي شعبان سنة ٩٢هـ عبر طارق بن زياد البحر في سبعة آلاف مسلم، وأخذ يرفع بصره إلى السماء يدعو ربه ويتذكر جهاد النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذته سنة من النوم، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، وقد حملوا السلاح، ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا طارق، تقدم لشأنك». وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأندلس أمامه، انتبه طارق مستبشرًا مؤملاً في نصر الله تعالى له.

لقي جيش طارق جيش ملك إسبانيا (لذريق)، وعدته سبعون ألفًا أو يزيدون، وبعث موسى بن نصير بخمسة آلاف مددًا لطارق، فصار عدة جيشه اثني عشر ألفًا، فخطب طارق خطبة، قال فيها: أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرًا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم؛ الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة بمناجزة هذا الطاغية، وإن انتهاز الفرصة لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، واني لم أحذركم أمرًا أنا عنه بنجوة، حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس، أبدأ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالذهب، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانًا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارًا وأختانًا؛ ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصًا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم، واعلموا أني مجيب دعوتكم إليه، واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله.

فلما التقى الجمعان هزم الله جند الكافرين، ونصر الله المؤمنين، وقتل طاغيتهم، ولقد أيد الله جند المسلمين بأن بث الفرقة في صفوف الكافرين، وأوغر صدور بعضهم بالعداء لبعض، وسلط عليهم اليهود الذين كانوا بينهم، بل وبعث الله مطرًا وثلجًا خففت على الحراس في بعض المدن أصوات تحرك الخيل، ففتحوا طليطلة، وغنموا قرطبة، وتبعوا جند الأسبان المنهزمين حتى وصلوا إلى الشمال الغربي من الأندلس.

فتح قرمونة وإشبيلية

ثم جاء موسى بن نصير بجيش كثيف، ففتح قرمونة، ثم إشبيلية، وفي عيد الفطر سنة ٩٤هـ فتح الله عليه مدينة ماردة التي كانت عاصمة إسبانيا، ثم امتدت فتوحهم إلى برشلونة شرقًا، وأربونا في الجوف، وقادس في الجنوب الغربي، وجليقة في الشمال الغربي، واستمر على ذلك، ففتحت لهم جبال البرانس، عدا الأقاليم الجبلية في الشمال الغربي، وكانت لموسى بن نصير أطماع في أن يطوق البحر المتوسط بدخول فرنسا، ثم الوصول إلى القسطنطينية، لكن الوليد بن عبد الملك (الخليفة) لم يوافقه، وخشي أن يعرض المسلمين للخطر، فعاد موسى وطارق سنة ٩٦هـ إلى دمشق، وخلف عليها ولده عبد العزيز بن موسى، فلما قتل خلفه أبو أيوب بن حبيب بن أخت موسى بن نصير، الذي أخذ يطوف البلاد وينشر العدل، ثم خلفه الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة ٩٧هـ، واعتنى حكام المسلمين بنشر الإسلام، فأحسنوا معاملة الناس، وسمحوا لليهود والتجار وأمنوهم، فانقادت إسبانيا للمسلمين

Upload by : altawhedmag.com

لما وجدوه من خير عميم، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

نصر الله للمسلمين:

كان المسلمون يقاتلون العدو في أرض جربها في هضاب وجبال شاقة، لكن تفوق المسلمين بالعقيدة اكتسح أمامه كل الصعاب، وما كان انتصارهم سهلاً، فقد قتل منهم ثلاثة آلاف، ولقد قاد موسى بن نصير حملة بعدها عددها ثمانية عشر ألف محارب، فكان فتح الأندلس شاقًا، أظهر الله نصره بتمكين المسلمين بعقيدة تغلغلت في نفوسهم، وليس كما يزعم من يهون من أمر الفتح أن ذلك راجع لسوء حال عدوهم وتفرقه، رغم أن ذلك له نصيب من الصحة، فلقد جمع لذريق ما أمكن من عدد وعدة في جيش قارب المائة ألف، وكان لذريق حاكمًا شجاعًا، ومحاربًا قويًا، وقائدًا مجربًا، وكان بعُد صيته وطال ذكره عند النصارى، وكانوا عند دخولهم المعركة متأكدين من غلبتهم، فأعدوا العدة لحمل الأسرى من المسلمين، وخرج لذريق في أبهة الملك، على سريره الجواهر، وحمل معه الحبال لربط الأسرى، لكن المسلمين لما صدقوا امتن الله عليهم بالنصر، وقتل لذريق.

وكان جيش طارق من البربر ليس فيه من العرب إلا القليل، وكان طارق بربريًا من قبيلة نفزة، وكان مخلصًا للإسلام، متحمسًا لنشره، ونقل ذلك لجنده.

وكان موسى بن نصير حين أنفذ طارقًا مكبًا على الدعاء والبكاء والتضرع لله تعالى والابتهال إليه في أن ينصر جيش المسلمين، وكان هذا شأنهم دائمًا، حيث كان من دعاء عقبة بن نافع حين أنشأ مدينة القيروان وبنى مسجدها الجامع: «اللهم املأها علمًا وفقهًا، وعمرها بالمطيعين لك، والعابدين، واجعلها عزًا لدينك، وذلاً لمن كفر بك، وأعز بها الإسلام، وأمنها من جبابرة الأرض».

دخول الاسبان في دين الله أفواجا:

دخل الأسبان في دين الله أفواجًا، وتحرروا من العبودية لغير الله تعالى، والطبقية، حتى غدا غير المسلمين أقلية، ومع ذلك لهم كافة الحقوق في حرية المعتقد والعبادة، فأعجبوا بالمعاملة الحسنة والإنصاف الجميل، والعدل الحسن، حتى اختاروا لغتهم على لغاتهم، ولبسوا ملابسهم، واستعملوا الختان، وامتنعوا عن أكل الخنزير، واتقنوا اللغة العربية، وتذوقوها قراءة وكتابة وأدبًا.

الفتوحات الإسلامية.. ونشر الإسلام:

لم يكن المد الإسلامي حركة غزو وغنائم وسيطرة سياسية، فهو يخالف غيره في الأساس والهدف والمنطق والتصور والأسلوب والغاية، بل هو موكب دعوة نيرة، وامتداد متصل وجهاد دائم أفقًا وعمقًا، دعوة ميدانها الأرض كلها، وموضوعها وموضعها بنو البشر كلهم، تسعى لكل الخلق، وتحنو عليهم، تحيي بمنهجها مواتهم، وتعلي رؤوسهم ليضيء نور الله المبين وشرعه المكين لأهل الأرض أجمعين، تدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، فيقبل عليها الناس مختارين برغبة وحرية وحركة تلقائية، فيسارعون للدخول في الإسلام أفواجًا. وإذا اعتنقوه صاروا من أهله العاملين تحت رايته، المجاهدين لنشر شريعته. قال تعالى: «وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ» (البقرة: ١٩٣).

فشرع الله حكيم يلائم الفطرة، فتقوم به السعادة، إنه وحده الهادي للبشرية، والمنقذ للإنسانية من كل ضلال، فشرع الله يصون الحرمات، ويحمي المقدسات، ويزيل العبودية إلا لله وحده، فيتساوى فيه كل البشر على اختلاف أجناسهم وتباين ألوانهم واختلاف لغاتهم وثقافتهم.

هذه كلمات تذكرتها حيث ألتقى مع بعض المسلمين في دورة دعوية في أحد مدن إسبانيا لنتذكر ديننا وأسلافنا، لعلنا أن نفيق من رقاد تبعث فيه الأمة من سبات. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله من وراء القصد.

Upload by : altawhedmag.com

تفريج كربات الناس

إعداد الشيخ / صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار، يتعرض فيها المؤمن إلى مواقف شديدة تجلب له الكربات والأحزان، فيحتاج إلى من يكشفها عنه. وتفريج كربات الناس له فضائل كثيرة في الدنيا ويوم القيامة.

والكرب: هو شدة الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس. وتفريج الكرب: معناه: رفع الضر الذي يصيب الإنسان ويأخذ بنفسه فيغمه ويحزنه. (لسان العرب، لابن منظور- جـ١- ص٧١١).

وعد الله بتفريج كربات المؤمنين

لقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بكشف كرباتهم في كثير من آيات القرآن الكريم، وسوف نذكر بعضا منها:

(١) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥،٦).

قال الإمام القرطبي (رحمه الله): إنَّ مع الضيق والشدة يسرا، أي سعة وغنى. ثم كرر فقال: إنَّ مع العسر يسرا، فقال قوم: هذا التكرير تأكيد للكلام. (تفسير القرطبي: ٢٠- ص١٠٧).

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق ٢- ٣).

(٣) قال سبحانه: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧)؛ قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): هذا وعد منه تعالى، ووعده حق، لا يخلفه. (تفسير ابن كثير: ٨/١٥٤).

نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على تفريج كربات الناس

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: من فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة. (البخاري: ٢٤٤٢ ومسلم: ٢٥٨٠). وقوله: (ولا يسلمه) أي لا يخذله، ولا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه.

وعن أبي موسى، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا. وشبك بين أصابعه. (البخاري: ٢٤٤٦ ومسلم: ٢٥٨٥).

وعن أبي اليسر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنظر معسرا أو وضع عنه، أظله الله في ظله. (مسلم: ٣٠٠٦). وقوله: (من أنظر معسرا): أي: أمهل مديونا فقيرا. قوله: (وضع عنه) أي: قليلا أو كثيرا من الدين. قوله: (أظله الله في ظله) أي: أوقفه الله تعالى في ظل عرشه. (مرقاة المفاتيح- علي الهروي: ٥/١٩٥٤).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني. (البخاري: ٥٦٤٩). وقوله: (وفكوا العاني) أي: خلصوا الأسير من يد الأعداء، وكذلك المحبوس ظلما.

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في تفريج كربات الناس

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الأسوة، والقدوة الحسنة لكل مسلم، يريد أن يصل إلى كمال الأخلاق.

عن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقا (الوسق ستون صاعا) لرجل من اليهود، فاستنظره جابر (طلب منه التأخير)، فأبى (رفض)، أن ينظره

Upload by : altawhedmag.com

(يُؤَخره)، فكلَّم جابرٌ رسولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ليشفعَ لهُ إليه، فجاءَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وكلَّمَ اليهوديَّ ليأخذَ ثمرَ نخلهِ بالَّذي لهُ، فأبى، فدخلَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم النَّخلَ، فمشى فيها، ثمَّ قالَ لجابر: جُدَّ لهُ، فأوفِ لهُ الَّذي لهُ، فجدَّهُ بعدَما رجعَ رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فأوفاهُ ثلاثينَ وسقًا، وفضلتْ لهُ سبعةَ عشرَ وسقًا، فجاءَ جابرٌ رسولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ليُخبرهُ بالَّذي كانَ، فوجدهُ يُصلِّي العصرَ، فلمَّا انصرفَ أخبرَهُ بالفضلِ (الزيادة في التمر)، فقالَ: أخبرْ ذلكَ ابنَ الخطَّاب، فذهبَ جابرٌ إلى عُمرَ فأخبرَهُ، فقالَ لهُ عُمرُ: لقدْ علمتُ حينَ مشى فيها رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ليُباركنَّ فيها. (البخاري: ٢٣٩٦)؛ قولُهُ: (ليأخذَ ثمرَ نخلهِ بالَّذي لهُ) أي: ليأخذَ كلَّ الثمرِ في مقابلةِ الدَّينِ مصالحةً قولُهُ (جُدَّ لهُ) أيْ: اقطعْ لهُ الثمرَ.

ثمرات تفريج كربات الناس

نستطيع أن نُوجز الثمرات الطيبة المباركة لتفريج كربات الناس في الأمور التالية:

(١) تفريج الكربات طريق الحسنات

حثنا اللَّه سُبحانهُ وتعالى على السعي لتفريج كربات الناس، لأن ذلك من وسائل التقرب للَّه سُبحانهُ وتعالى والحصول على الحسنات: قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠)؛ قال الطبري (رحمهُ اللَّه): ما تقدِّموا أيُّها المؤمنونَ لأنفسكمْ في دارِ الدُّنيا منْ صدقةٍ أوْ نفقةٍ تنفقونها في سبيلِ اللَّه، أوْ غيرِ ذلكَ منْ نفقةٍ في وُجوهِ الخيرِ، أوْ عملٍ بطاعةِ اللَّه منْ صلاةٍ أوْ صيامٍ أوْ حجٍّ، أوْ غيرِ ذلكَ منْ أعمالِ الخيرِ في طلبِ ما عندَ اللَّه، تجدُوهُ عندَ اللَّه يومَ القيامةِ في معادكمْ، هُوَ خيرًا لكمْ ممَّا قدَّمتمْ في الدُّنيا، وأعظمُ منهُ ثوابًا. (تفسير الطبري: ٢٣/ ٣٩٨).

(٢) اللَّه تعالى يحب الذين يفرجون الكربات

عنِ ابنِ عمرَ، رضيَ اللَّه عنهُما، قالَ: قالَ رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: أحبُّ النَّاسِ إلى اللَّه أنفعُهمْ للنَّاس. (صحيح الجامع للألباني: ١٧٦).

(٣) تفريج الكربات من أبواب التعاون على الخير

التَّعاونُ على الخيرِ بينَ أفرادِ المجتمعِ ضرورةٌ إنسانيةٌ واجتماعيةٌ، لا يستطيعُ الناسُ الاستغناءَ عنها.

قالَ اللَّه تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢)؛ قال الإمامُ ابنُ كثير (رحمهُ اللَّه): يأمُرُ تعالى عبادَهُ المؤمنينَ بالمعاونةِ على فعلِ الخيراتِ وهُوَ البرُّ، وتركِ المنكراتِ وهُوَ التَّقوى وينهاهُمْ عنِ التَّناصرِ على الباطلِ والتَّعاونِ على المآثمِ والمحارمِ. (تفسير ابن كثير: ٥/ ١٨).

(٤) تفريج الكربات سبيل انتشار المحبة بين المسلمين

عنِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، رضيَ اللَّه عنهُما، قالَ: قالَ رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: مثلُ المؤمنينَ في توادِّهمْ، وتراحمهمْ، وتعاطفهمْ مثلُ الجسدِ إذا اشتكى منهُ عضوٌ تداعى لهُ سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحمَّى. (مسلم: ٢٥٨٦).

أدعية تفريج الكربات

سوف نذكر بعض أدعية نبينا صلى اللَّه عليه وسلم التي تساعد في تفريج كُربات المؤمن وتقضي حوائجه، بإذن اللَّه تعالى.

(١) لا إلهَ إلَّا اللَّه العظيمُ الحليمُ، لا إلهَ إلَّا اللَّه ربُّ العرشِ العظيمِ، لا إلهَ إلَّا اللَّه ربُّ السَّمواتِ وربُّ الأرضِ، وربُّ العرشِ الكريمِ. (البخاري: ٦٣٤٦، ومسلم: ٢٧٣٠).

(٢) اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ منَ الهمِّ والحزنِ، والعجزِ والكسلِ، والجبنِ والبخلِ، وضلعِ الدَّينِ، وغلبةِ الرِّجالِ. (البخاري حديث: ٦٣٦٩).

(٣) اللَّهمَّ رحمتكَ أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، وأصلحْ لي شأني كلَّهُ، لا إلهَ إلَّا أنتَ. (صحيح أبي داود للألباني: ٤٢٤٦).

(٤) يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتكَ أستغيثُ (صحيح الترمذي للألباني: ٢٧٩٦).

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للَّه ربِّ العالمينَ.

Upload by : altawhedmag.com

الأمن وحقوق الإنسان في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد: جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق خير الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة: فنظمت علاقتهم بخالقهم وعلاقتهم بأنفسهم، وعلاقة بعضهم ببعض أفراداً وجماعات في أوقات السلم والحرب. فنحن أمام دين نظم الواقع الانساني بكل أبعاده. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:٨٩). والناس مهما اختلفت لغتهم وأجناسهم وألوانهم ودياناتهم فهم في أصل واحد لهم الحقوق التي تصون حياتهم وكرامتهم وعليهم الواجبات التي تحقق خيرهم ومصالحهم. والناس متساوون لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. وهذا الاختلاف أو التعدد فيما بينهم قصد به التكامل والتعارف. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

إعداد
د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد - جامعة الباحة سابقا

ولقد صان الإسلام حقوق هذا الإنسان وحفظ حرماته وحذر من الاعتداء عليها: فصان حرمة النفس وحرمة سفك الدماء، وصان حرمة المال فحرَّم الاعتداء عليه أو أكله بالباطل، وصان حرمة العرض. فأما حق الحياة فقد صانه الإسلام حين صان حرمة النفس الإنسانية وهدَّد الذين يعتدون على حياة الآخرين ظلماً وعدواناً. قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣)، ونهى عن الاعتداء على حق الحياة، وقتل النفس، إلا بالحق فقال الله جل شأنه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء:٣٣).

وإذا كان الخلق لم يكن عبثاً، ولم تكن الحياة سدى، فليس للإنسان أن ينتحر ويقتل نفسه، أو يوردها موارد التهلكة، والا استحق اللعنة والغضب من الله سبحانه وتعالى، ثم من المجتمع، فليست حياته ملكاً له يتصرف فيها كيف يشاء، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩).

كما شدَّد الإسلام على ألا يقتل الوالدان أبناءهم بسبب الفقر أو الخوف من العار، وغير ذلك، وجاء التشديد في أكثر من موضع في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام:١٥١)، وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير:٨-٩). فالقتل يكفينا لتصور بشاعته وقسوته وأثره في قول الله عز وجل: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢).

كما اهتم الإسلام بحق المال وبتيسير طرق تحصيله وتمهيد الأرض وتذليل السبل، فعن طريق الزراعة وجَّه الإسلام أتباعه إلى استنبات الأرض واستثمارها ونعمه موجودة منتشرة حيث أعدها ومهدها لذلك قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (عبس: ٢٤-٣٢). كما أشار إلى تحصيله عن طريق الصناعة: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد:٢٥). وأمر الإسلام بتحصيل المال أيضاً عن طريق

Upload by : altawhedmag.com

التجارة: قال سبحانه وتعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ)(النساء: ٢٩).

وحين يؤكد الإسلام الوصية بصيانة حق المال فإنه يعمل على توثيق الحقوق بين العباد وذلك بالوفاء بالعقود، قال تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ)(المائدة:١)، ويأمر بالكتابة في حال الدين:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ)(البقرة: ٢٨٢).

كما يُبين سبحانه وتعالى أن الربا لن يفيد الإنسان، فسوف يمحقه الله، فقال تعالى: « يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ »(البقرة: ٢٧٦)، ويصف الله الحالة التي يكون عليها آكل الربا؛ فيقول سبحانه وتعالى: « ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ » (البقرة:٢٧٥). ولم يقتصر جرم الربا في الإسلام على آكله إنما يشمل كل من أعان عليه، فعن جابر رضي الله عنه قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء" (رواه مسلم).

لقد حرّم الإسلام جميع الطرق التي تؤدي إلى تضخم الأموال عن طريق غير مشروع كابتزاز أموال الناس، أو غشهم، أو التحكم في ضروريات حياتهم، واستغلال عوزهم وحاجتهم، ويقول سبحانه وتعالى:(وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)(البقرة:١٨٨).

وأما عن العرض فقد صان الإسلام حرمة الأعراض وحفظ كرامة الناس وحذر من الغيبة والنميمة، والوقوع في حق المسلم أو شرفه وكرامته، وحرم السخرية بالناس واللمز والتنابز بالألقاب، وسوء الظن بهم، كما حذر من التجسس؛ قال سبحانه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)(الحجرات:١١)، فلا يجوز لإنسان أن يسخر من إنسان ولا يحل له أن يستهزئ بأخيه أو يسخر منه لآفة في بدنه أو نحافة في بعض أعضائه أو قلة ماله، أو غير ذلك من الأمور.

والأمن هو أحد الخصال الثلاث التي إذا اجتمعت للمرء في يومه، فكأنما ملك الدنيا كلها؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا" (أخرجه الترمذي وابن ماجه)؛ فمن كانت عنده هذه الصفات تمتّ عليه النعمة، الصفة الأولى: "آمناً في سِرْبه" يعني في مسكنه ومنزله ومن حوله، ولا يخاف من الأعداء، الصفة الثانية: "مُعافى في جَسَده" من الآفات والأمراض المقلقة والمزعجة، الصفة الثالثة: "عِنْدَهُ قوتُ يَوْمِه" أي عنده غداءه أو عشاءه، "فكأنما حيزتْ له الدُّنْيا" أي اجتمعت له النعم والمتطلبات.

ويتمثل الأمن في اطمئنان الفرد والأسرة والمجتمع على أن يحيوا حياة طيبة، فلا يخافوا على أنفسهم أو أموالهم أو دينهم أو نسلهم أن يعتدي عليها أحد أو على من يصونها، لذا فإن مسؤولية الأمن تقع على عاتق أفراد المجتمع؛ كلٌ بحسب موقعه وطاقاته وإمكاناته، فالأصل امتثال الفرد قواعد وأنظمة الأمن علماً وسلوكاً في نفسه وبيئته ومجتمعه، يعلم كل فرد ما يضره وما يلحق به من أذى وما يسيء لوطنه فيبتعد عنه ويتجنبه، ويعلم كل ما ينفعه وينفع غيره ويسهم في عزّ وطنه فيلتزم به، وعندما يكون الأمن موجوداً تعمّ العدالة بين أفراد المجتمع مما يجعل حقوق الإنسان واضحة وكل فرد يحصل على حقوقه.

إن حقوق الإنسان في الإسلام تسعى إلى تأصيل الكرامة الإنسانية والحرية والسلام، وبناء مجتمعات إنسانية بعيدة عن التعسف والاضطهاد، فحقوق الإنسان ليست منحة من أحد، وانما هي ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، وهي لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل، كما لا يسمح بالاعتداء عليها أو التنازل عنها، وما يميز نداء الإسلام بحقوق الإنسان إنه نداء بما يحقق التكامل والانسجام والأمن والأمان في دائرة العدل والإحسان. كما أن حقوق الإنسان واقع عملي وممارسة سلوكية، وليست مجرد تصور نظري، أو مثالية تخالف الواقع، أو شعارات جوفاء بعيدة عن التطبيق. وهي متعلقة بالإنسان في كل زمان ومكان.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

إنا لله وإنا إليه راجعون

فضيلة الشيخ/ إبراهيم رفعت أبو موته
مدير تحرير مجلة التوحيد في ذمة الله

توفي فضيلة الشيخ إبراهيم رفعت أبو موته الإعلامي والصحفي بمجلة الدعوة السعودية ومدير تحرير مجلة التوحيد.

وهذه نبذة مختصرة عن الشيخ رحمه الله.

تعليمه

تخرج في كلية الإعلام بجامعة الأزهر مجتهداً طامحاً باحثاً عن شغفه الدعوي.

بداية العمل الدعوي

في بداية حياته العملية عمل في العراق ولندن، ثم انطلق إلى السعودية ليعمل بين التحقيقات والاستقصاءات والمؤتمرات والندوات.

وكان يحمد الله أن وفقه لاستعماله في خدمة دينه ودعوته.

وكان يحمل دائمًا في جيبه جهاز الكاسيت ليسجل في اي وقت ثم يعود ليفرغ ما سجل من معلومات.

مواكبته للتطور التقني:

وعندما بدأ ينتهي العصر الورقي للصحافة حاول مواكبة التكنولوجيا.

وعمل في عدة قنوات تلفزيونية لنشر رسالته ويخدم دينه .

مرضه:

ابتلاه الله تعالى بمرض في عينيه، فلم يعد يرى في أيامه الأخيرة، فصبر واحتسب، وكان كثير الشكر والحمد..

وظل يعمل في العمل الدعوي حتى آخر لحظات حياته.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء: ١٨ ربيع الأول ١٤٤٧ هـ - ١٠ سبتمبر ٢٠٢٥م

ليرحل في سكينة وطمأنينة كما كان يدعو دائمًا أن يتوفاه الله واقفًا على قدميه حتى لا يثقل على أحد..

وانا لله وانا إليه راجعون.

وتتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء لأسرة الشيخ إبراهيم ومحبيه.

اللَّهمّ اغفرْ له وارْحمْه، وعافه واعْفُ عنْه، وأكْرمْ نُزُله، ووَسّعْ مُدْخله، واغْسله بالماء والثّلج والبَرَد، ونقّه منَ الخطايا كما يُنقّى الثّوب الأبْيَض منَ الدّنس، وأبْدلْه داراً خيْراً منْ داره، وأهْلاً خيْراً منْ أهْله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدْخلْه الجنّة ، وأعذْه من عذاب النّار.

اللّهمّ إنّ عبدكَ في ذمّتكَ وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النّار، وأنتَ أهل الوفاء والحقّ اللّهمّ فاغفر له وارحمه إنّكَ أنتَ الغفورُ الرّحيمُ

اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

Upload by : altawhedmag.com

الصلة والأنس في وليمة العرس

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد سبق لنا ذكر زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها، وقد طُفنا مع هذا الحدث نستلهم منه عدة فوائد، وهي: الأولى: التعريف بزينب رضي الله عنها. الثانية: مناقبها وفضائلها. الثالثة: بيان بطلان التبني.

وبعد أن انشغلنا مدة في تسديد السهام لنحور اللئام الطاعنين في سيد الأنام صلى الله عليه وسلم نعود إلى العرس مرة ثانية؛ لنشهد وليمة عُرس زينب- رضي الله عنها-؛ وها هو أنس رضي الله عنه يروي ونحن ننصت وننظر من بعيد، وهو يقول: ما رأيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أولم على امرأة-أو على شيء من نسائه- ما أولم على زينب فإنه ذبح شاة. (صحيح البخاري ٥١٦٨).

وفي لفظ لمسلم: ما أولم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على امرأة من نسائه أكثر أو أفضل مما أولم على زينب، أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه.

وعن أنس أيضا قال: تزوج رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فدخل بأهله-زينب رضي الله عنها- قال: فصنعت أمي أم سليم حيسا-هو التمر والسمن والأقط يخلط، ويعجن، والأقط: الجبن الجاف- فجعلته في تور-التور: إناء من نحاس- فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقل بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، فقال: "ضعه"، ثم قال: "اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت" وسمى رجالا، قال: فدعوت من سمى ومن لقيت. ولم أدع أحدا لقيته إلا دعوته. وقيل لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة. وقال لي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "يا

Upload by : altawhedmag.com

أنس هات التَّوْر"، قال: فدخلوا حتى امتلأت الصُّفَّة والحجرة، ووضع النبيُّ صلى الله عليه وسلم يده على الطعام، فدعا فيه، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه"، قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة، حتى أكلوا كلهم، فقال لي: "يا أنس ارفع"، قال: فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت.

قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتركهم في البيت، فسلم على نسائه، ثم رجع، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع، ظنوا: أنهم قد ثقلوا عليه، قال: فابتدروا الباب، فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أرخى الستر، ودخل وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى خرج عليَّ، وأنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأهن على الناس: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي» (الأحزاب: ٥٣) إلى آخر الآية... البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨).

وعنه قال: "أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسًا بزينب بنت جحش"-قال: وكان تزوجها بالمدينة- فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار... وذكر الحديث.

وعنه رضي الله عنه قال: ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار-أي ارتفع واشتد ضحاؤه- فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته، فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ صحيح مسلم (١٤٢٨).

وعن أنس أنه ذكر الحديث ثم قال: وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: "السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله"، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك بارك الله لك، فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة. صحيح البخاري (٤٧٩٣).

وهذه الروايات فيها فوائد مهمة

١- إثبات وليمة العُرس على وجه الاستحباب عند الجمهور، والوجوب عند البعض.

٢- فيه: أنه يستحب لأصدقاء المتزوج: أن يبعثوا إليه بطعام يساعدونه به على وليمته.

٣- فيه: أن لصاحب الوليمة أن يبعث الرسل فيمن يحضر وليمته، إن لم يتولَّ ذلك بنفسه.

٤- فيه: أن الوليمة قد تكون بعد البناء؛ كما في قوله "حين امتد النهار"، وقوله أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسًا بزينب بنت جحش"، وذلك وقت الضحى.

٥- إدخال السرور على العروس بالإهداء إليه، والقيام عنه ببعض الكلف؛ لكونه مشتغلًا بغيرها. وهو نحو مما يستحبُّ من الإهداء لأهل الميت.

٦- فيه دليل على استحباب تخفيف الزيارة للزائر، ولا سيما عقب الطعام؛ فإذا طعم الضيف انتشر.

٧- في خروجه من البيت، وترك المتحدثين على حالهم، ولم يهجهم: ما يدل على كرم أخلاقه، وحُسن معاملته، وكثرة حيائه، وإن تحمل فيه مشقة ومخالفة مقصده.

٨- وفيه أنه ينبغي لمن أراد أن يكثر من الدخول على الكبير القدر أن يكون ذا فطنة وتلمح، فإن خروج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ضيفه، وهم في داره، كان كافيًا لهم في التنبيه على الخروج، وتخلية ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهله.

٩- أن الوليمة في العرس تجوز أن تكون أقل من شاة، كما أنه يستحب أن تكون أكثر من ذلك؛ لقول أنس: ما رأيته أولم على امرأة من نسائه ما أولم على زينب، فإنه ذبح شاة.

١٠- قوله "أطعمهم خبزًا ولحمًا حتى تركوه" يعني:

Upload by : altawhedmag.com

حتى شبعوا وتركوه لشبعهم، وفيه أنه يستحب لمن أضاف ضيفًا أن يكون ما يقدمه إليهم فاضلًا عن حاجاتهم إذا أمكنه ذلك.

وهذا من أعلام النبوة، حيث يشبع الكثير من الناس بشاة واحدة.

١١- يستحب للمسلم أن لا يحقر شيئًا يقدمه إلى أخيه إذا كان منتهى وُسعه في وقته ذلك ولو تمرة.

١٢- أن الطعام إذا كان لا يتسع للضيف؛ إما لصغر إنائه عن مقاعد الضيفان في دفعه، وإما لضيق المكان بهم فإنه يستدعي منهم رهطًا على حسب مقدار الإناء والموضع، فإذا أكلوا خرجوا، ودخل رهط آخرون بعدهم، فينال المتأخرون بركة سؤر المتقدمين، هكذا فوجًا بعد فوج، وكل منهم لدخوله.

١٣- في هذا الحديث استحباب أن لا يأكل الإنسان إلا ما يليه، وهذا إذا كان الطعام كله شيئًا واحدًا كالثريد ونحوه، وأما إذا كان أنواعًا مختلفة جاز له أن يَمُدَّ يده إلى غير ناحيته.

١٤- وفيه دليل على أن الوحي كان لنزوله عند تجدُّد الأحداث حلاوة؛ فلو قد كان نزل جملة واحدة لفات منه مثل ذلك عند نزول آية الحجاب.

١٥- وفيه استحباب استقلال ما يهديه الإنسان، أو يقدمه للضيف، وإن كثر، مع أنه لا يحقر ما يقدمه إلى الضيف؛ فيحرمه لقول أم سليم: "إن هذا لك منا قليل".

١٦- وفيه أن المضيف ينبغي أن يوسع صدره، وإن كثر الضيف، متوكلاً على الله في أن يبارك في القليل، ويعم باليسير، كما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قوله: "وادعُ مَن لقيت".

١٧- وفي قوله: "كانوا زهاء ثلاثمائة" من الدلائل على نبوة نبينا -صلى الله عليه وسلم- لأنه إذا أكل ثلاثمائة رجل من حيسة في تور، وصدروا شباعًا، والحيسة مما يتناول الإنسان منه أكثر من غيره، وحتى يقول أنس: فما أدري أهي أكثر حين رفعت أم حين وضعت؟ فذلك أكبر دليل على وفور البركة منه صلى الله عليه وسلم.

١٨- أن البركة في الجود بالطعام والشراب وبذلهما أفضل الجود، والشح بهما أقبح الشح؛ ولا سيما ما قد صُنع، فإنما إذا ترك فسد، فإذا سمح بهما المؤمن فقد تأسى بنبيه صلى الله عليه وسلم وتبع سنته.

١٩- وقوله: "وزوجته مولية وجهها إلى الحائط"، وهذا لأنها استحيت من الرهط.

٢٠- وفيه ما يدل على إيمان عائشة وغيرها من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن وحسن أدبهن مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه حين سلَّم عليها قالت له: "كيف وجدت أهلك، بارك الله لك"، وهو دعاء يشتمل على نوع مداعبة.

٢١- الأحاديث التي ورد فيها الأمر بالوليمة محمولة على الاستحباب ومصروفة عن الوجوب وهو قول أكثر الفقهاء. ولا يشترط في الوليمة أن تكون على لحم فقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أولم بغير اللحم، وإذا أولم بلحم؛ فيجوز بشاة، وبأكثر من شاة إذا كان موسرا.

وقد اختلف السلف في وقتها هل هو عند العقد أو عقبه، أو عند الدخول أو عقبه، أو موسع مع ابتداء العقد وانتهاء الدخول؟ على أقوال، والذي يظهر لي: أن الأمر فيه سعة فإن أولم يوم الزفاف قبل الدخول كما هي العادة عند كثير من الناس؛ فحسن، وإن أولم بعد الدخول؛ فهو أحسن اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وينبغي أن يُعلم أن أكثر الفقهاء يرون وجوب إجابة الدعوة لوليمة العرس.

وإجابة الدعوة مقيدة فيما إذا لم يكن هناك عذر للمدعو لتركها، فإذا ترك إجابة الدعوة لعذر فلا بأس في ذلك. وكذلك يُشترط لإجابة الدعوة ألا يكون هناك منكر من المنكرات، فإن كان هنالك منكر واستطاع إزالته وتغييره فحضر فهو أمر حسن، وإن لم يستطع تغيير المنكر فعليه ألا يحضر.

وأخيرًا: يُستحب لمن حضر وليمة العرس أن يدعو بخير لصاحبها كأن يقول "اللهم اغفر لهم وارحمهم وبارك لهم فيما رزقتهم" رواه مسلم وغيره.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٣/ ٢٨)، والإفصاح (٥/ ٢٠)، وشرح النووي على مسلم (٩/ ٢٣١)، والمفهم (٤/ ١٤٧).

فهذه بعض الفوائد من حديث الوليمة، وبقي لنا من بركات هذا الزواج: مشروعية الحجاب، وهو موضوع العدد القادم.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

تهنئة

لفضيلة الرئيس العام

الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد

لحصوله على درجة الماجستير

تتقدم أسرة مجلة التوحيد، والمركز العام، بأجمل التهاني إلى فضيلة الرئيس العام بمناسبة حصوله على درجة الماجستير، عن الرسالة التي تقدم بها فضيلته إلى المعهد العالي للدراسات الإسلامية، بالقاهرة، قسم الشريعة الإسلامية ، بعنوان: «الحقوق الواردة على الملكية في ضوء الفقه الإسلامي».

وتكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من كلٍّ من:

أ.د. محمد نجيب عوضين

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، جامعة القاهرة (مشرفًا ورئيسًا).

أ.د. إبراهيم محمد عبد الرحيم

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة (عضوًا، ومشرفًا).

أ.د. الحسيني سليمان جاد

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، جامعة الزقازيق، (مناقشًا، وعضوًا).

أ.د. عبد الله محمد حلمي

أستاذ الشريعة الإسلامية، ووكيل كلية الحقوق، جامعة المنوفية (مناقشًا، وعضوًا).

سائلين الله تبارك وتعالى لفضيلة الرئيس العام التوفيق والسداد، والله ولي التوفيق.

Upload by : altawhedmag.com

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com